20 me. année No 978

Le Caire 31 — 3 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ رجب سنة ١٣٧١ — ٣١ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

لا تخافوا (الاخوان)

لأنهم يخافون الله

قال لى صديق من أدباء الأقباط أعرف فيه وزانة العقل ورزانة الطبع ، وقد جرنا الحديث إلى ما يكابده هذا البلد المسكين من شهوات أبطال الحق، ونزغات قلقات الأمن ، ونزعات بلبلت العقيدة : « ألم يكن من الخير لمصر ألا يكون فيها إلا إخوان مصريون لامسيحيون ولا مسلمون لتدوم الوحدة وتزيد الألفة ؟ لقد نقمنا من المبشرين أنهم أنبتوا فى القاهرة فرعا (لجمعية الشبان المسيحيين) وكنا نود ألا يجاريهم فى مثل ذلك الذين أنشأوا (جمعية الشبان المسلمين) فإن الأمر لابد أن يجرى فى الجميتين على حكم العصبية الدينية، وفى هذه العصبية توهين للصلات الطبيعية التى تصل المواطن بالمواطن ، وإن كان هذا التوهين لا يزال ضعيف الأثر لغلبة العوامل الرياضية والثقافية على نفوس الأعضاء فى هاتين الجماعتين . ولكنى أصارحك ولا أداجيك أن ما نخشاه من (الإخوان المسلمين) أبعد فى الأثر وأقرب إلى الخطر مما نخشاه من أى حزب ومن أية جماعة . ذلك لأن الإخوان ميدانهم أوسع ودعوتهم أسرع ووسائلهم أنفذ وغايتهم أبعد . إنهم يريدون حكما غير الحكم ، ودستورا غير الدستور ، ونظاما غير النظام . ولا أدرى كيف نكون نحن إذا غلب دين واحد على دنيا مشتركة ، وطبق دستور معين على حياة مختلفة ؟ »

فقلت له وقد وافقته على ما رأى من قوة الإخوان ونفاذ دعايتهم وبعد غايتهم : أنا أدرى كيف تكونون . تكونون إذا ما أراد الله لحزبه أن يغلب ، ولشرعه أن يحكم ، ولنوره أن يتم ، كما كنتم فى عهد الخليفة عمر : لكم ما للمسلمين من حق ، وعليكم ما عليهم من واجب . أما إذا كان قد وقع فى عهود بعض الواغلين على الوادى جماعات أورثتكم هذه الوساوس ، فإنما كان وقوعها ضلالا فى العقل لغيبة الهادى ، وشططا فى الحكم لعطلة الدستور . وما كان الهادى الذى أغفلوه غير دين الله ، ولا كان الدستور الذى عطلوه غير كتابه . والعقيدة يومئذ كانت فى أكثر الناس إيمانا بالاسم وكفرانا بالفعل . وأنتم اليوم أقرب إلينا وأعز علينا مما كنتم أيام الوالى عمرو ؛ لأن العلاقة بينكم وبين المسلمين كانت فى القرن السابع علاقة فتح وجزية، فأصبحت فى القرن العشرين علائق وطن وجنس ولغة وأدب وثقافة وتاريخ . وما أظنك تمارى فى أن أكثر المصريين أقباط أسلموا . وأنت لا تخشى صاحب الدين مادام يستشعره ويستظهره ويعمل به ؛ فإن الأديان جميعا تتفرع من أصل إلهى واحد ، هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . إنما تخشى من يعتقد أن إلهه فى السماء وليس معه على الأرض ، ومن يحسب أن غاية دينه كلمات وحركات تؤدى فى كل فرض ! والإخوان المسلمون قوم تآخوا فى الله وتواصوا بالحق وتوافوا على المحجة وتعاونوا على البر واستبطنوا حقيقة الدين . دستورهم القرآن وهو بيّن ، وحكمهم الشريعة وهى سمحة ، ونظامهم المحبة وهى أجمع ، وغايتهم الإنسانية

وهى أشمل. والإسلام أنزله اللطيف الخبير الذى يعلم من خلق، ليكون سلاما لكل نفس، وقواما لكل عمل، ونظاما لكل جماعة. ودنياه العامة التى يحكمها وينظمها لابد أن يكون فيها العربى والأعجمى والذمى والوثنى، فلا جرم أن الله يدبر بحكمته الأمر على أن يعيش هؤلاء جميعا سعداء فى ظله. وماذا نخاف من (الإخوان) وهم يتلون كل يوم قوله تعالى:

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » ؟

فقال صديق وقد نقع ما قلت نفسه:

إذا كان رأى الإسلام فى المخالفين هذا الرأى، وكان (الاخوان) مسلمين بهذا المعنى، فإنا لنرجو أن يكون أساس المصريين جميعا فى البناء هذا الأساس: إيمان خالص بالله وعمل صالح للناس!

احمد حسن الزيات

فى تاريخ الادب التركى

للأستاذ عطا الله ترزى باشى المحامى

فى وسعنا أن نقسم تاريخ الأدب التركى إلى عصرين أساسيين: جاهلى وإسلامى، وأن نقسم كذلك كلا من هذين العصرين إلى أدوار مختلفة..

ورأينا أن نتحدث فى هذا المقال عن تاريخ الأدب التركى منذ نشأته حتى تأسيس الدولة العثمانية بإيجاز

يتكون العصر الجاهلى من دورين هامين:

(أولا) دور الأدب المظلم، ولا نعرف عنه أكثر مما يرويه لنا المؤرخون من « مناقب الترك » المعروفة بـ (الدساتين) (١). وهى تتضمن بعض القصص والروايات التاريخية عن نشأة الأتراك وقيامهم بتأسيس الدويلات. وتحتوى كذلك على تراجم بعض الملوك والأمراء والقواد. وأشهر هذه الدساتين دستان « أوغوز خان » (٢) ودستان « بوزقورت » ودستان « شو » وغيرها (٣).. ولم يعرف الترك فى هذا الدور الكتابة وإنما انتقلت إلينا هذه الدساتين من بعض الآثار التاريخية القديمة

(ثانيا) دور الأدب المكتوب: وشاع فى هذا الدور استعمال الكتابة بين الترك. والكتابات الأولى التى عثرت عليها فى التاريخ هى التى اكتشفها العلماء بالقرب من مدينة (طورفان) فى الشمال الشرقى من (منغوليا) على ضفة نهر (أورخون). فقد وجدت فى هذه النواحى ألواح من الرخام مثبتة فى الأرض نقشت عليها بعض الكتابات. وكان أهمها ثلاث كتابات تعرف بـ « تونيو قوق » و « كول تكين » و « بيلكه قاغا ». ويرجع تاريخ الكتابة الأولى إلى سنة ٧٢٠ م والثانية إلى سنة ٧٣٢ م والثالثة إلى سنة ٧٣٥. وقد ثبتت هذه الألواح التى تبحث عن حروب الترك مع الصينيين فى جانب زعماء تولوا عرش الدولة التركية المسماة بـ « كوك تورك »

ويعتبر « بيلكه تونيوقوق » أول أديب عرف فى تاريخ الأدب التركى على الإطلاق

ولقد أشار إلى وجود هذه الكتابات فى أول الأمر المؤرخ الإيلخاني المعروف (جوينى) وذلك في القرن الميلادى الثالث عشر. وذكرها أيضا الدكتور الألمانى دانيل مسرشميد « Daneil Messershmidt » حين رآها (سنة ١٧٢١م) أثناء قيامه برحلات فى هذه الأنحاء وسماها بالكتابات الطلسمية

ويعود الفضل فى أمر اكتشافها إلى العالم الدانياركى طومسن « Thomsen » فقد وفق لأول مرة فى ٢٥ / ١١ / ١٨٩٣ إلى قراءة كلمات (ترك، تنكرى، كول تكين). وتمكن هذا المستشرق بعد ذلك من حل رموز الكتابة وقراءتها بكاملها. وكذلك استطاع من بعده العالم الألمانى الشهير رودلف « Rodolf »

---

(١) جمع دستان بمعنى الملحمة

(٢) وقد روى لنا هذا الدستان الوزير رشيد الدين فى كتابه « جامع التواريخ » عن نسخة قديمة من كتاب كانت لديه. انظر لهذا الدستان البروفيسور فؤاد كوبريلى عن نسخة قديمة فى كتابه تاريخ الأدب التركى (المجلد الأول)

(٣) أنظر الأستاذ نهاد سامى: تاريخ الأدب التركى المصور ص ١١ – ٢٠

أن يترجمها ترجمة صحيحة (٤)

وفي القرن التاسع من الميلاد أراد الأتراك ، وقد هجروا استعمال هذه الكتابة ، أن يتعلموا لونا جديدا من الكتابة تسمى بالكتابة الأويغورية . وقد انتقل إلينا كثير من الكتب التركية القديمة المدونة بهذه الكتابة ، كانت موضع دراسة العلماء والباحثين ، منها كتاب « Turrkische turfan tuxt » وقد حققه العالمان بنج (Bang) وفون جربيان (Von Garblan) ، ومنها كتاب (المتون المانية التركية) نشره فون لـكك (Von Le Coq) كتاب جمع بين دفتيه كثيرا من العقائد والأدعية في المذهب وهو المانى (٥) الذي انتشر بين الترك في ذلك العصر . ومنها كتب نشرت من قبل أكاديمية العلوم النمساوية بعنوان (Vygurica) وأخرى ذات قيمة أدبية كبرى عثرت عليها في مدينة « طورفان »

وهنا ينتهي العصر الجاهلي من الأدب التركي وبانتهائه تضمحل الكتابات القديمة شيئا فشيئا حتى تنقرض وتحل محلها الكتابة الإسلامية بالتدريج

العصر الإسلامي :

إن هذا العصر في الأدب التركي يتكون من أدوار مختلفة تتبع في تقسيمها ما يلي :

صدر الإسلام : وجد الأتراك ، حين احتكوا بالمسلمين في القرن الميلادي الثامن ، أن هذا الدين يقوم على نظام اجتماعي متين ، ويستند على أسس أخلاقية تتشابه مع قواعد العرف والعادات السائدة بينهم . فاعتنقوه على عجل . وقد انتشر الدين الإسلامي بين الأتراك انتشارا عظيما حتى أسلمت الأقوام التركية الساكنة في البلاد المتاخمة لحدود الصين جماعات ووحدانا . ولم يبق منهم غير أفراد قلائل لم يسعدهم الحظ في الاتصال بالمسلمين

ولقد أفاد الترك من الإسلام إفادة جلى . فنظموا حياتهم الاجتماعية وفقا لاعتبارات هذا الدين الجديد . فانتقلوا من طور البداوة إلى طور الحضارة ، فبدأوا يسكنون المدن وقد اعتزلوا الحياة القبلية إذ رحلوا بعد الإسلام إلى الديار القريبة من مراكز

(٤) راجع لدراسة هذه الكتابات الأستاذ نجيب بك عاصم مدرس اللغات العرقية في الآستانة سابقا في كتابه «تماثيل الأورخون» باللغة التركية

(٥) وبالأحرى الديانة المانكية « Manicheism » التي نمات بين الفرس قديما وهي تمهل إبليس في مستوى الخالق

الخلافة الإسلامية

ولم يؤثر في الحياة الأدبية عند الأتراك دين من الأديان التي اعتنقوها قبلا بقدر ما أثر فيها الدين الإسلامي الحنيف . ويتطلب دراسة هذا التأثير بنوعيه الإيجابي والسلبي تفصيلا وتمحيصا ، وقد أوجزناها الآن في سطور عسى أن نجد فرصة أخرى نعالج فيها هذا الموضوع بالشرح والتمحيص

لقد كان أثر الإسلام في الأدب التركي أعظم من أثره في الأدب العربي كما يتبين ذلك من الآتي :

غير الإسلام من غير شك مجرى الحياة الأدبية عند الأتراك تغييرا عظيما . فأخرج الأدب التركي من عزلته الجاهلية وأدخله في قائمة الآداب الشرقية الحية . فنرى منذ ذلك اليوم ازدهارا كبيرا ونموا متزايدا في النتاج الأدبي عند الترك . ويندر أن نجد آثارا خلفها الترك من عصر جاهليتهم ، إذ أن غالب الآثار التي أنتجها رجال الفكر التركي منشؤها هذا الدين القيم الذي مهد السبيل أمام المفكرين وأنار لهم الطريق، طريق الرقي في مدارج العلم والثقافة

وقد كان من آثار هذا الدين اقتباس الترك الأفكار الأدبية من خزائن الآداب الإسلامية الأخرى وإضافتها إلى ثروتهم

وكان الأدب التركي في الجاهلية أدبا فرديا غير متسم بطابع الأدب الجماعي، ونعني بالأول ذلك اللون من الأدب المشتت شمله والمجهول عواله، الصادر عن عقلية ضعيفة غير متكاملة . فما كان من الإسلام إلا أن وحد اتجاه الأدباء في أساسه توحيدا كاملا

ولا ينكر ما لهذا الدين من تأثير سلبي في الأدب التركي من بعض الوجوه ، كاللغة . فقد كانت اللغة التركية خالصة في أصلها، خالية من الألفاظ الأجنبية . وبعد نشوء العلاقة الدينية بين الأتراك وبين غيرهم من الأقوام بدأت الألفاظ الغريبة من فارسية وعربية تتسرب إلى هذه اللغة بالتدريج حتى شاع بين الأتراك استعمال بعض القواعد الأجنبية في الكتابة استعمالا أذهب من اللغة التركية رونقها

وقد تأثر الكتاب الأتراك بلغة القرآن تأثرا بليغا حتى حدا

ببعضهم إلى استعمال اللغة العربية فى الكتابة عوضاً عن لغته الأصلية . وقد أنتجوا كثيراً من المؤلفات القيمة فى هذه اللغة من بينهم فلاسفة عظام ومفكرون مشهورون . أمثال الفارابى وابن سينا والزمخشرى — صاحب الكشاف ومؤلف كتاب مقدمة الأدب — كما أن آخرين منهم انساقوا بسبب الملابسات والظروف إلى استعمال الكتابة الفارسية بدلا من التركية أمثال جلال الدين الرومى صاحب المثنوى المعروف وغيره من المفكرين

التصوف فى الأدب التركى :

ليس من شأننا الآن أن نتحدث عن تاريخ التصوف الإسلامى فى عصوره المختلفة، وإنما وددنا أن نتطرق بإيجاز إلى النواحى الأدبية منه بقدر ما يتعلق بالموضوع

إن آثار التصوف بدأت تظهر شيئاً فشيئاً فى الأدب التركى منذ القرن الثالث عشر الميلادى ، وذلك حينما استخدم العالم المعروف الشيخ محيى الدين بن العربى نظريته المعروفة « وحدة الوجود » التى كان لها الأثر البالغ فى الأدب التركى طوال العصور

وقد تأثر شعراء الترك كذلك بفلسفة الجاذبية الإلهية التى كان أصحابها يؤمنون بتمثل القدرة الإلهية فى النفس البشرية عن طريق الإيمان بذاته إيماناً يطارد الشرور الكامنة فى النفس ، فيتجسم النور الإلهى فى القلوب تجسماً يكاد يحسه المؤمن فى كل حين .. وكان هؤلاء الرجال يعشقون جمال الله عشقاً خالصاً لا يخامرهم فيه شك ولا يأخذهم منه ريب ، ولم يكن هذا العشق الإلهى فى نظرهم كالحب المجازى الذى يشعر به الإنسان تجاه الآخرين ، بل كانوا يعتبرونه مودة صافية ناشئة من فرط ميلهم للوجود المطلق

ومن استطاع فى رأيهم أن يتغلب على النفس الأمارة بالسوء بدافع غلاب لا يحمله إلا القليلون، واندمج فى الوجود المطلق ، فقد بلغ الغاية القصوى ونال الدرجة العليا فى سلك التصوف فاز رتبة (الفناء فى الله)

ولقد تظاهر كثير من شعراء الترك بهذه الفلسفة زمناً غير قليل، نذكر منهم الشاعر المعروف (نسيمى) (٦) من شعراء القرن الرابع عشر الميلادى الذى ألف ديواناً ضخماً فى الشعر التصوف ، وقد اشتمل هذا الديوان على قصائد جياد فى تحبيذ ما ذهب إليه الصوفى الإسلامى الكبير (الحلاج المنصور) . وكان نسيمى قد سلك مسلك الحلاج فى قوله « أنا الحق » مما أثار ضجيج العلماء فى عصره ، فاغتاظ منه رجال الدين وأمروا بقتله فكشطوا جلده حياً فهلك

ومنهم الشاعر الإناضولى العظيم (يونس أمره) وهو أحق أن نفرد له مقالا خاصاً فى الرسالة ليتبين القارئ مدى قيمته الأدبية ومنزلته الممتازة بين الشعراء الصوفيين . ونكتفى اليوم بإيراد منظومة مترجمة له من قصيدة مطلعها :

برساقيدن ايچدم شراب عرشدن يوجه ميخانه مى

يقول :

تناولنا الخمر من ساق كانت خمارته فوق العرش
فأصبنا بحرارة السكر ، ففدينا الأرواح (٧)

حبذا هذا المجلس الذى تشوى فيه الأكباد على نار شمع وهاج
تدور حوله الشمس كما تطير الفراشة حول النار

وفى هذا المجلس تنطلق صيحات « أنا الحق » من أفواه المخمورين الذين يعد أفقرهم فى التصوف، فى مستوى الحلاج المنصور

ثم ينهى الشاعر منظومته بخطاب يوجه إلى نفسه قائلا :

حذار من مخاطبة الجاهلين بهذا الكلام الفياض
فإنك تعلم كيف يقضى هؤلاء الوقت ..

ويلاحظ فى هذه القصيدة أن الشاعر كنى عن الإله بالساقى . وعبر بالخمر عن العشق الإلهى . كما أنه ورى حرقة كبده فى حب الإله بشى الكباب فى مجلس الشراب

وقد انتشرت هذه الألوان من المصطلحات الصوفية بين الشعراء حتى شاع استعمال كثير من تعابير اللهو والطرب فى موضع التغنى بذكر الله ...

البقية فى العدد القادم

عطا الله ترزى باشى المحامى
بغداد

---

(٦) ولنسيمى من السادة الكرام ولد ببغداد واندمج فى مدينة حلب واسمه الحقيقى (عماد الدين)

(٧) ولغيره من الشعراء انظر : فؤاد كوبريلى فى مجلة يكى تورك عدد ٤ ، ج ١

٣ ـ التعليم في مصر

للاستاذ عبد الحميد فهمي مطر

كل من استمع إلى بيان سعادة الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف الأسبق في الإذاعة ، أو اطلع عليه في الصحف ، من عبث الطلبة بالمدارس ، واستخفافهم بجميع القيم الخلقية والآداب الرعية ، وما تبع ذلك من إغلاق جميع المعاهد التعليمية في البلاد ، مما لم يعهد له مثيل من قبل ، يعتقد بأن المدرسة المصرية أصبحت في مسيس الحاجة إلى إصلاح شامل ، لا يقتصر على مناهجها ، بل يتجاوز ذلك إلى نظمها بل إلى روحها ، حتى لا تنتهي إلى الفشل في مهمتها . ولقد أصبح واجباً وطنياً على جميع كبار المربين ، وعلى رأسهم الأستاذ الكبير معالي رفعت باشا وزير المعارف العمومية ، بل وعلى جميع القادة والمفكرين أن يبحثوا وأن يفكروا تفكيراً عميقاً في علاج هذه الحال الأسيفة المؤلمة ، التي تهدد الأخلاق بالبوار ، وحياة الأمة كلها — لاقدر الله — بالدمار ، والتي أتينا على وصف الكثير منها في مقالتينا السابقتين بمجلة الرسالة الغراء ، ذات الأثر الفعال في العمل على إنهاض هذه الأمة

إن الواجب يقضي علينا أن نذكر زعماءنا وقادتنا بما نحسه من عيوب وعقبات في طريق نهضتنا ، لنتعاون جميعاً على إصلاح أنفسنا ، وواجبنا أن لا نستصغر ما في هذا الأمر الجلل من خطورة ، وأن نكون صرحاء فلا نداري ولا نماري لنأخذ الأمر بما يستحقه من جد ، وأن لا يكون مثلنا مثل النعامة تغمض عينيها وتخفي رأسها في الرمال ، ظنا منها أنها ستفلت بذلك من الصياد ، فإذا به يدهمها ويقضي عليها

لقد كان حال مدارسنا قبل ثورة ١٩١٩ ، أي منذ ثلث قرن من الزمان غير حالها اليوم . كان حالها يملأ نفوس طلابها احتراماً لها وتقديساً ، وكانت نفوس أبنائها الفتية تغلي تقديراً للأساتذة وتقديراً للمسئوليات الملقاة عليهم ، ولكن تلك النفوس الفتية كانت كذلك تمتلىء رهباً من النظار وكثير من الأساتذة ، فكنا نأخذ على المدرسة ما فيها من شدة وقسوة ورهبة ، كما كنا نأخذ عليها ما فيها من بعد عن الحياة الطبيعية في روحها وفي نظامها ، ولكن الجد والاحترام والتقديس كانت أسساً تقوم عليها الحياة المدرسية كما هو الحال اليوم في حياة المدارس الأجنبية التي بين ظهرانينا . فماذا جد في مدارسنا في السنين الأخيرة ، حتى بعد أبناؤها عن الجد والوقار ، وركنوا إلى العنت والاستهتار ، مما اضطر الكثيرين من الزعماء والكبراء إلى إبعاد أبنائهم عنها ، والإلقاء بهم في أحضان المدارس الأجنبية ، التي لا شك في أنها تضعف القومية ، وتوهن بعضها في نفوس أبنائنا العقيدة الوطنية والدينية ، فكيف نتقبل طوال السنين عن الفارق الكبير بين مدارسنا وبين تلك المدارس الأجنبية ، ذلك الفارق الذي جعل منها مدارس ممتازة يفضلها الآباء الموسرون ، ويحبها ويؤثرها على غيرها الأبناء المدللون . إن هذا الفارق واضح في نظمها وبين في روحها التي تشيع المحبة والتعاطف والتعاون بين أساتذتها وطلابها ، فهلا درسنا ذلك وتأملناه وعملنا له في مدارسنا وكلياتنا ؟

إن المدارس الأجنبية تستخدم العصي أحياناً في تأديب التلاميذ الذين عز عليها علاجهم ، ومدارسنا منعت فيها عصى التأديب من زمن بعيد ، ومع ذلك ترى الناشئ في المدرسة الأجنبية التي تهوى بعصاها عليه أحياناً يحترمها ويقدسها ، أما عندنا ف . . . . ، ولم يبق لدينا اليوم غير كلية واحدة أو كليتين ، ومدرسة ثانوية أو مدرستين هي التي حافظت على كيانها ولم تتأثر كثيراً بما يجري في مختلف الكليات والمدارس ، فحفظت توازنها واحترام طلابها لها . أعتقد أن كلية الطب هي من بين الكليات؛ والمدرسة الثانوية النموذجية هي من بين المدارس الثانوية التي لا زال الجد والوقار يحف بهما في عملهما ، ولما يتسرب إليهما الفساد الذي سرى في غيرهما ، وأسأل الله أن يحفظهما من هذا العبث . فهلا تعرفنا الأسباب الحقيقية لذلك علنا نرسم الخطة المثلى للعودة بالمدرسة المصرية إلى جدها ووقارها !

إن الجفوة بين الطالب وكليته وبين التلميذ ومدرسته ، كما وأن الجفوة بين المدرسة المصرية والبيئة المحيطة بها ، هاتان الجفوتان اللتان تميزت بهما مدارسنا جفوتان قديمتان ، نبهنا إلى علاجهما من زمن بعيد فى تقاريرنا وفى مقالاتنا وفى كتابنا « التعليم والمتعطلون فى مصر » الذى أصدرناه منذ ثلاثة عشر عاماً ، وقد جاء فى مقدمته : « عملت بين جدران المدارس زماناً طويلا ، كنت أحس فيه أن المدرسة التى عملت فيها تلميذاً ، والتى عملت فيها مدرساً ، والتى عملت فيها ناظراً ، لم ينلها شىء محسوس من التغيير ، ولم يتطرق إلى روحها شىء من التجديد ، فهى لا زالت تسير على نفس الوتيرة القديمة ، مليئة بنفس الروح القديمة ، يحس تلميذها إذا ما دخلها بانقطاعه عن العالم وما فيه ، إلى شبه سجن غير محبوب إذا لم يوصف بأنه مكروه ، ولكن الجميع ظلوا يكبتون عواطفهم إزاءها ، لما تجلبه من خير الوظيفة إلى طلابها بعد نيل شهادتها ، وظلت المغريات القديمة تدفع الناس دفعاً للسعى إليها »

وجاء فى تقرير رفعته إلى معالى وزير المعارف فى مارس سنة ١٩٢٨ ما يأتى : « فالمدرسة الابتدائية وكذا الثانوية لا زالت منفصلة تماماً عن البيئة المحيطة بها ، يدخلها التلميذ فيتصور أنه فى عالم آخر غير عالمه الذى يعيش فيه ، ونظرية حشو الأدمغة بالمعلومات البعيدة عن الحياة العملية لا زالت متجسمة فى المنهج الجديد تجسمها فى القديم ، ولا زال كثير من التلاميذ يبغضون المدرسة وذكرها وكل ماله مساس بها »

وجاء فى صفحة ١٨ من مؤلفى السابق الذكر فى الكلام عن المستر دنلوب الذى ظل مستشاراً المعارف أكثر من ربع قرن من الزمان فى بدء الاحتلال ما يأتى : « بهذه الطريقة أوجد دنلوب بين جدران المدارس نظاماً عسكريا جافا شديداً ، إذ أصبح خير نظار المدارس ذلك الذى يقلده فى كبريائه وشدته ، فاجتهد كل ناظر أن يقسو القسوة كلها على مرؤوسيه وتلاميذه ، وحاول المدرس بدوره أن يعامل أبناءه بمنتهى الشدة والجفاء ، وأن يبتعد عنهم ويتكبر عليهم ما أمكنه الابتعاد والكبرياء ، حتى أصبحت العلاقة بين المدرس وتلميذه علاقة عداوة وشحناء ، لا عطف فيها ولا مودة ولا هوادة ، كل يتربص بصاحبه الدوائر ويحاول إيذاءه بمختلف الوسائل ... الخ »

ولقد ظل الحال كذلك والمستعمر ينفث سمومه فى التعليم ، حتى أفسد جوه ونجح فى تبغيض الأبناء فى المدرسة وكل مافيها ، لكن هذا الشعور ظل مكبوتاً زمناً حتى ثارت البلاد ثورتها سنة ١٩١٩ تطالب حريتها ، فبدأ التلاميذ يتمردون على المدرسة ، وبدأ شعور الكراهية يظهر شيئاً فشيئاً ويزداد ظهوراً كلما ضغط المستعمر على البلاد ، وحاول إخضاعها للحديد والنار ، وجاء دور الحزبية التى شجعها المستعمر فلعبت بعقول التلاميذ والطلاب ، وزادت نار الحقد والكراهية أوارا حتى صاروا فى شبه ثورة جامحة على المدرسة ونظمها وتقاليدها وكل ما فيها ، وفقد الأساتذة سلطانهم الروحى والعلمى عليهم ، خصوصاً بعد أن اضطرتنا ظروف نشر التعليم المفاجئة السريعة أخيراً إلى الالتجاء إلى كثير من المدرسين الحديثين ، الضعاف فى مادتهم والضعاف فى أساليبهم وسلطانهم الروحى والعلمى .

ولو أن المدرسة كانت محببة إلى أبنائها ، ولو أنها كانت متصلة اتصالا وثيقاً ببيئتها متفاعلة معها ، وكان أساتذتها ذوى سلطان علمى قوى على تلاميذها ، ووجد فيها التلاميذ الغذاء العلمى والروحى الذى يطمئنهم ويرضى نفوسهم كما هو الحال فى المدارس الأجنبية وفى كلية الطب وفى المدارس الثانوية النموذجية لما فعل الطلبة بمدارسهم هذه الأفاعيل ، ولما استباحوا لأنفسهم حرماتها وعبثوا بمقدساتها ، ولو أن المدارس الأجنبية فى مصر والمدارس الثانوية النموذجية وكليات الطب كانت غير محببة لدى أبنائها ، غير عابئة كغيرها بالاتصال بالحياة المحيطة بها ، ذلك الاتصال الذى يجعل منها قطعة من الحياة ، لما حرص عليها طلابها ، ولفعلوا بها كما فعل غيرهم من الأبناء ، فالكل مصريون والكل شعورهم واحد وبيئتهم واحدة

لهذا كله أدعو مجالس الكليات كما أدعو كبار المسئولين من التعليم إلى دراسة أحوال الكليات والمدارس دراسة عميقة لجعل

الحب والتشويق والاتصال المباشر بالحياة العاملة ، والتعاون بين الأساتذة والطلاب أسساً حقيقية فى حياة المعاهد التعليمية جميعها، وإلى العناية بالغذاء الروحى المقوم للنفوس والقلوب ، والكفيل بتقويم الضمائر ، ودفعها لحماية جميع المقدسات والحرمات ، مع الحيلولة بين الطلاب والحزبية المقوتة فى سبيل القضاء على الفوضى والفساد والترهات ، كما أدعو كبار المسئولين من رجال المعارف إلى البحث والتمحيص فى انتقاء نظار المدارس والناظرات ممن حسنت سمعتهم وترفعوا عن الدنايا والموبقات ، بل ممن ارتفعت شخصياتهم عن كل الشبهات ، فبهؤلاء وبهؤلاء خاصة يمكن أن يوجه الأساتذة التوجيه الصحيح ، الكفيل بصلاح حال الأبناء . والله أسأل أن يهدينا صراطه المستقيم ، وأن يوفقنا إلى استقامة حياتنا واستعادة مجدنا إنه نعم المولى ونعم النصير

عبد الحميد فهمى مطر

على مشرفة باشا

(بمناسبة ذكرى وفاته)

للأستاذ أحمد على الشحات

عالم من خيرة علماء مصر، ونابغة من النوابغ الذين ظهروا فى هذا العصر ، وأول عميد مصرى لكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول — ظهر نبوغه مبكرا منذ فجر الشباب ، فنراه يتخرج فى مدرسة المعلمين العليا عام ١٩١٧ وهو إذ ذاك فى التاسعة عشرة من عمره ، وتوفده الحكومة للخارج ، فيحصل على درجة البكالوريوس فى العلوم عام ١٩٢٠ ، وعلى درجة دكتوراه الفلسفة عام ١٩٢٣ ، وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، ويرجع إلى بلده العزيز مصر ليعين أستاذاً للرياضيات فى المعهد الذى تخرج فيه وهو المعلمين العليا . ولكن نفسه التواقة للعلم تتشوف بالتطلع إلى أعلى درجة جامعية فى العالم ويرى أن بلاده لم ينل فخر الحصول عليها بعد وهى دكتوراه العلوم ؛ فيتصدى مشرفة لها ويطلب من وزارة المعارف أن تعطيه الفرصة ليحصل عليها من أجل مصر ، لأنه كان يؤمن أن مجد البلاد إنما يقوم على العلم ، وأن الأمم العظيمة هى التى اهتمت بالعلم وبالعلماء فأخرجوا لها الاكتشافات والاختراعات ، ولقد صدق شوقى رحمه الله حين قال

كل يوم آية دات على أن للعلم القوى والثنايا
لو بنوا فوق السها مملكة لوجدت العلم فيها الطنبا
سلم الناس إلى المجد إذا طلبوا سلمه والسببا

ولكن أنى لمشرفة أن يعطى الفرصة لهذا المجد والذين بيدهم السلطة فى ذلك الوقت كانوا الإنجليز ، وأنه ليس مما يسر خاطرهم أن يظهر النبوغ المصرى أمام العلماء فى الخارج ، فيعقدوا الأمور له . وأخيرا يتحدونه بشكل مستتر فيوافقون على سفره على شرط أن يحصل على هذه الدرجة التى لا يتطلع إليها فى العالم إلا القلائل ممن وهبهم الله ملكة عالية فى الرياضيات أن يحصل عليها فى فترة الإجازة الصيفية . ويقبل مشرفة التحدى ، وينصره الله نصرا عزيزا ، ويحدوه المعجزة ، ويمنح هذه الدرجة العليا من بلاد الإنجليز ومن جامعة لندن وهو فى السادسة والعشرين

ويرجع مشرفة إلى مصر ليجد أن عاهل مصر العظيم المغفور له الملك فؤاد الأول ينشئ الجامعة المصرية من كليات الآداب والطب والحقوق وكلية رابعة لم يكن لمصر بها عهد من قبل وهى كلية العلوم ، ويطلب مشرفة أن يعين أستاذا فى هذه الكلية فترفض الجامعة مع اعترافها بأنه حائز لأرقى درجة جامعية فى العالم ، ولكن هناك مانع قانونى يقف فى سبيله ؛ هذا المانع هو أن سنه صغيرة ويجب فى نظر الجامعة ألا يقل سن الأستاذ عن الثلاثين عاما ، وترضى الجامعة أن تعينه أستاذا مساعداً فقط . وتثار هذه المسألة — الأولى من نوعها — فى البرلمان ويتدخل الزعيم الراحل سعد زغلول باشا ليفهم الجامعة بأن صغر سن مشرفة يجب أن يقابل بالتقدير ، وأنه هو دليل النبوغ . وأخذت الجامعة بوجهة نظر الزعيم ورقى

مشرفة إلى درجة أستاذ بالجامعة عام ١٩٢٦ وعضى سنوات عشر فإذا به ينتخب عميدا لهذه الكلية وهو دون الأربعين من عمره إذ كان فى الثامنة والثلاثين آنئذ . وقد حصل على رتبة البكوية فى هـذا الوقت . ويتابع مشرفة نشاطه العلمى وبحوثه الرياضية ، وتنشر فى الخارج فى أمهات المجلات العلمية

ويزداد تقدير العلماء له فيدعوه أينشتين ذو الشهرة العالمية فى الرياضيات وصاحب نظرية النسبية وأحد أقطاب القنبلة الذرية أن يحاضر كأستاذ زائر بأمريكا فى جامعة برنستون عام ١٩٤٧ ، وأن ينزل ضيفا على الحكومة الأمريكية ؛ وتوافق الجامعة على طلب العلامة الأمريكى ، ولكن تجد ظروف خاصة تمنع مشرفة من الذهاب ويبقى فى مصر

وكان مشرفة من المؤمنين بأن العالم يجب ألا يبقى فى برجه بين جدران معامله ، بل يجب أن يساهم فى بناء المجتمع وفى نشاطه وفى تبسيط العلم لجمهرة الناس ، فتراه يلبى دعوة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ويلقى سلسلة من الأحاديث عن الذرة والقنبلة الذرية وعن (العلم والدين) (والعلم والمال) (والعلم والسياسة) (والعلم والصناعة) (والعلم والأخلاق) وغيرها . كما لم تخل صحيفة يومية أو مجلة ثقافية من مقالاته وآرائه ، وفى مقدمتها مجلة الرسالة الغراء

واتسع نشاطه فتراه يخرج للناس عدة كتب علمية منها النظرية النسبية الخاصة — ومطالعات علمية — والذرة والقنبلة الذرية — ونحن والعلم — والعلم والحياة — ويهتم بدراسة علماء العرب فيساهم فى إخراج كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمى ، ويؤلف عدة كتب فى الميكانيكا والهندسة والرياضيات لوزارة المعارف العمومية ، كما عهدت إليه الوزارة فى ترجمة بعض المؤلفات العلمية الأجنبية

ويساهم فى إنشاء الهيئات المختلفة من علمية أو اجتماعية ، فتراه بالمجمع المصرى للثقافة العلمية ، وبالأكاديمية المصرية للعلوم وباللجنة الأهلية للرياضة البدنية ، وبمجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث ، وبالجمعية المصرية للثقافة العلمية ، وبالجمعية المصرية لهواة الموسيقى ، وبجمعية القرش للصناعات المصرية ، وجماعة إنقاذ الطفولة المشردة ، وبالمجلس الأعلى لشؤون الموسيقى بوزارة المعارف

وفى عام ١٩٤٦ انتخب وكيلا لجامعة فؤاد الأول وحظى بعطف المليك وتقديره فأنعم عليه برتبة الباشوية ، وأخيرا كان على مشرفة أن يسير فى الطريق التى لا بد أن يسير فيها كل كائن حى حين يستوفى أجله

جاء إلى هذه الدنيا فى يونيه ١٨٦٨ وتركها فى يناير سنة ١٩٥٠ وبين هذين التاريخين أظهر من آيات النبوغ ورجحان العقل ما يجعل ذكراه تخلد على الدهر

أحمد على الشحات

الباكستان

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة طاهرة نقية (١) أنقذها الله من براثن الرجس والوثنية، أولى الدول الإسلامية إذ أنها أكثرها سكانا وأوسعها مساحة وأملها أكثرها رقيا وتقدما

وخامسة دول العالم كله ؛ فترتيبها من حيث تعداد السكان كما يلي : الصين ، الهندستان ، الولايات المتحدة الأمريكية ، روسيا ، الباكستان

دولة الغد المأمول والأمل المشرق ، ولدت فكان ميلادها أمنا وسلاما لإخواننا المسلمين من أبناء القارة الهندية . دولة خلقت لتعيش وستعيش بإذن الله

تلك هي دولة الباكستان ، وقد كان من الطبيعي أن أبدأ بالكتابة عنها تحقيقا للرغبة الكريمة التي أبدتها الأديبة الفاضلة بهيجة المنشاوي والتي نشرت في العدد ٩٧٦ من مجلة الرسالة الغراء حاملة لواء الفكرة الإسلامية

وقد كان من جميل المصادفات أنني حين أردت الكتابة عن الباكستان تناولت كتابا (٢) من أحدث ما كتب عنها وكانت صيغة الإهداء فيه هي ما يلي :

إلى الفتاة العربية

التي ينتظر الغد منها أن تحمل التبعة في سبيل تنشئة جيل جديد قوى

يتذكر مجد الماضي فيمحو عار الحاضر ويحسن بناء المستقبل

فالمؤلف يهدى كتابه إلى الفتاة العربية وأنا أكتب تحقيقا لرغبة الأديبة الفاضلة ، وهدفنا جميعا إقامة كتلة إسلامية قوية ينعم أبناؤها في ظلها بالكرامة والحرية، وتكون الميزان الدولي للسلام العالمي

١ : باك = طاهر   ستان = أرض أو دولة
٢ : «باكستان دولة ستعيش» للدكتور عمر فروخ

الموقع :

الباكستان ثانية دولتين تقومان في شبه القارة الهندية التي تقع في جنوب آسيا وتطل على البحر العربي من الغرب وخليج البنغال من الشرق والمحيط الهندي من الجنوب ، وفي شمالها تقع جبال الهملايا والمرتفعات الوسطى بآسيا

وفي غرب الباكستان تقع أفغانستان وإيران . وتضم الباكستان الولايات الإسلامية من شبه القارة الهندية ولكنها لم تستطع أن تضم جميع مسلمي الهند إليها فما زال كثير منهم يقيم في أرض الهندستان . وتبلغ مساحتها ٢٠٦٠ مليون كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي مائة مليون نسمة

وهي تنقسم إلى قسمين : الباكستان الشرقية وتتكون من إقليم البنغال الذي يتكون من المنطقة الواقعة عند مصب نهر الكنج

والباكستان الغربية وتتكون من حوض السند وبلوخستان ويفصل بين القسمين مسافة لا تقل عن ألف ميل . وهناك منطقتان ما زال النزاع قائما بين الباكستان والهندستان عليهما : الأولى مقاطعة حيدرآباد ومساحتها حوالي ٨٢ مليون كيلو مترا مربعا وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة ، والثانية مقاطعة جمو وكشمير

وسنتحدث عن مشكلة المقاطعتين بالتفصيل فيما بعد

قصة الباكستان

وأحب قبل أن أتحدث عن الباكستان من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية أن أحدث القراء عن قصة قيام الباكستان تلك الدولة التي نشأت منذ خمس سنوات فقط

دخلت بلاد السند وبلوخستان في دائرة العالم الإسلامي منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان . وفي أوائل القرن السابع عشر الميلادي كانت جميع بلاد الهند في يد المسلمين وكان يحكمها المغول

ولكن منذ عصر النهضة الحديثة وعصر الاستكشافات بدأت تنتاب الشعوب الأوربية حمى الاستعمار وبدأت إنجلترا تنسج شباكها حول الهند فأنشأت معها علاقات تجارية، ثم كان

من الطبيعي أن يقوم النزاع بين شركات التجارة وبين حكومة الهند وانتهى الأمر باستيلاء إنجلترا على الهند . وفي ١٧٦٣ طردت إنجلترا الفرنسيين من معظم المراكز التجارية التي كانت لهم بالهند وأصبحت الهند الدرة اليتيمة في التاج البريطاني . ومنذ ذلك التاريخ والسياسة الانجليزية تحرص تماما على سلامة الهند ، والمقصود بسلامة الهند معناه قطعا عدم خروج الهند من يد بريطانيا إلى يد دولة أخرى ، ومعناه أيضا الوقوف في وجه الهند ومنعها من تحقيق استقلالها . وأكثر من هذا لقد كان الحرص على سلامة الهند محور السياسة الانجليزية . استمع إلى قول وارن هستنجس حاكم الهند ١٨٠٠ « منذ نزول الفرنسيين بأرض مصر (١٧٩٨) لم يغمض لي جفن » ، وانظر إليه وهو يدفع حكومته دفعا حتى ترسل عدة حملات ١٨٠١ ساهمت في طرد الفرنسيين من أرض مصر وساعدت الأتراك والمصريين على إجلائهم عنها

لماذا كل هذا الاهتمام بالهند ؟ يرجع السر في ذلك إلى عاملين خطيرين : ١ : إن الهند مورد عظيم من موارد المواد الخام والمواد الغذائية اللازمة للشعب الانجليزي وللصناعة الانجليزية

٢ : إن الهند سوق كبيرة لتصريف المصنوعات الانجليزية .

هذا من ناحية انجلترا، أما من ناحية الهنود فقد حاولوا التخلص من نير الاستعمار الانجليزي وقامت ثورة كبيرة ١٨٥٨ ولكنها لم تنجح . وبرغم هذا فقد تكون حزب المؤتمر ١٨٨٥ وكان ينادي بأن تنال الهند استقلالا ذاتيا وتبقى ضمن دائرة مجموعة الشعوب البريطانية . وقد اشترك كثير من المسلمين البارزين في هذا الحزب الذي كان يرمي إلى تحرير الهند نوعا من الاستعباد البريطاني

ولكن المسلمين بدأوا يشعرون بأن انجلترا والهندوكيين يأتمرون بهم ويبيتون لهم الغدر والشر ، ولذلك قاموا في ١٩٠٦ بتأسيس الرابطة الإسلامية

ومضى الزمن والهنود يجاهدون في سبيل حريتهم ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فوقفوا مسلمين وهندوكيين بجانب بريطانيا وحلفائها حتى تحقق لهم النصر ، ومات كثير من أبناء الهند في مختلف ميادين القتال . وانتهت الحرب واعتقد الهنود أن حريتهم ستكون مكافأتهم على تضحياتهم ، ولكن انجلترا خيبت آمالهم ، واكتفت بالقيام ببعض إصلاحات لا قيمة لها

أدى موقف انجلترا هذا من قضية الهند إلى قيام الثورة الهندية المعروفة بحركة العصيان المدني والتي تزعمها المهاتما غاندي سنة ١٩٢١ . وقد وقف المسلمون وكان يقودهم مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي بجانب غاندي ، وقاموا بنصيب موفور من الجهاد مما أغضب الانجليز فأخذوا يسلطون عليهم سياط التعذيب من قتل وسجن ، إلى سلب ونهب ، فامتلأت بهم السجون والمعتقلات ، وتحملوا في سبيل الكفاح الكثير من الخسائر . ومع هذا تحمل المسلمون صابرين ، وبدأ مركز انجلترا يتزعزع

لجأت انجلترا إلى سياستها التقليدية وهي إيقاع الفرقة في صفوف الأمة ، فبدأت تتقرب من الهندوس وتتآمر معهم ضد المسلمين ، وأخذ بعضهم يعلن ما بيتوا على رؤوس الأشهاد . قال ساقاركان أحد قادتهم : إن الهند لن تستطيع أن تكون بلدا موحدا ولا أمة موحدة ، إن فيها أمتين : الهندوس والمسلمين

وفي عام ١٩٢٥ نشر هار ديال أحد كبار الصحافيين مقالا جاء فيه : « إنني أعلن أن مستقبل الجنس الهندوكي في الهندستان والبنجاب (إسلامية) يجب أن يقوم على أربعة أسس : الوحدة الهندوكية ، الحكم الهندوكي ، تجييش المسلمين ثم احتلال الأفغان ومناطق الحدود الجبلية ، وإلا كان مستقبل الأمة الهندوكية كلها في خطر »

وهكذا وضح للعيان أنه لا يمكن أن تقوم في الهند دولة موحدة ، والواقع أن الخلاف بين المسلمين والهندوكيين كان كبيراً جدا : إن المسلمين يعبدون الله ولا يشركون به ، وقد أحل لهم أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم وأن ينحروا البقر ، والبقرة حيوان مقدس لدى الهندوس بل هي إحدى معبوداتهم

من أجل هذا كنا نتوقع دائما عند قدوم عيد الأضحى أن نسمع عن مذابح الهند ، فقد كان المسلمون ينحرون البقر وسرعان ما تقوم المعارك بينهم وبين الهندوس ويسقط فيها آلاف القتلى

ورب قائل يقول : لماذا عمد الهندوس إلى اقتراف تلك الجرائم

في عهد الاستعمار ؟ وأنا أذكره بأن المسلمين كانوا سادة الهند وحكامها قبل هذا العصر ، فمن الطبيعي أن تكفل لهم سيادتهم وأمنهم وسلامتهم . أما وقد زال سلطانهم على يد الإنجليز وبدأت الهند تتحرر ، فقد أخذ الهندوكيون بتحريض إنجلترا يرتكبون تلك الفظائع ويعملون على (تجبيس المسلمين) أو إهلاكهم

وقد أدى كل ذلك إلى اعتقاد مسلمي الهند بأنه لا نجاة لهم إلا إذا قامت لهم دولة مستقلة ، وقد تزعم هذه الحركة المباركة القائد المخلص محمد على جناح

وقد كان أول مؤتمر رسمي اشترك فيه المسلمون بصفتهم الرسمية هو مؤتمر المائدة المستديرة الذي انعقد في لندن ١٩٣٢

وفي ١٩٣٧ أعلن البانديت جواهر لال نهرو — رئيس وزراء الهند الحالي — أن هنالك من الهند حزبين : الحكومة الانجليزية وحزب المؤتمر . حينئذ اضطر محمد على جناح أن يقول : بل إن ثمة حزباً ثالثاً هو الأمة الإسلامية

في هذا الوقت كان قيام دولة إسلامية مستقلة طيفاً يداعب خيال المسلمين ، ولكن الله جلت قدرته قد حقق هذا الحلم بأسرع مما كانوا يظنون

ففي ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية وتحرج مركز انجلترا وطلبت من الهنود الإخلاد إلى السكينة وترك قضية التقسيم جانباً حتى تنتهي الحرب ، ولكن القائد الأعظم محمد على جناح قال : إننا نوافق على الهدنة في كفاحنا السياسي إذا رضيت بريطانيا بشرطين :

١ — أن تعلن الحكومة البريطانية إعلاناً صريحاً بأنها لاتتبنى دستوراً لحكم الهند في زمن الحرب أو بعد الحرب من غير موافقة سابقة من جانب المسلمين

٢ — أن يكون للمسلمين نصيب مساو لنصيب غيرهم من السيادة وفي مراقبة أمور الحكومة المركزية والحكومات الإقليمية

وقد رضيت انجلترا بذلك ووافقت عليه وأعلنت في ١٩٤٠ أنها لن توجد في الهند شكلا من أشكال الحكم لا ترضى عنه عناصر كثيرة العدد قوية الأثر

قبل المسلمون هذا التصريح ولكن الهندوس رفضوه وقاموا بحركة عصيان ضد إنجلترا ولكنها فشلت لعدم اشتراك المسلمين فيها

وفي ١٩٤٤ اجتمع غاندي بمحمد على جناح في بمباي وحاول أن يتفق معه على عدم تقسيم الهند ، ولكن محمد على جناح رفض رأي غاندي لأنه كان ضد رغبة المسلمين . وربما يبدو هذا الموقف غير سليم أمام من يتعصبون للقومية ، ولكن أمام هؤلاء أضع الحادث التالي على سبيل المثال : في عام ١٩٤٧ كان يسكن بلدة أمتسار خمسمائة ألف نسمة منهم مائتا ألف مسلم . وفي يومين اثنين قضى الهندوس على هذا العدد الضخم بالقتل والذبح والتشريد . كيف يمكن مع مثل هذا أن يطمئن المسلمون على أنفسهم ؟ إن السبيل الوحيد هو إقامة دولة إسلامية مستقلة

وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ وبدأت إنجلترا تعالج مشكلة الهند . وفي أوائل ١٩٤٦ أجريت الانتخابات في الهند وقد نجح أعضاء حزب الرابطة الإسلامية في إحراز المقاعد الثلاثين المخصصة للمسلمين في المجلس التشريعي المركزي ، وهؤلاء هم أنصار قضية الباكستان . وأصبح واضحا تماما أنه لا يمكن إغفال رغبات مائة مليون من السكان

واعترافا بالأمر الواقع قرر البرلمان البريطاني في ١٩٤٧ ما يأتي :

« ابتداء من الخامس عشر من أغسطس عام ١٩٤٧ يقوم في الهند حكومتان باسم الهند وباسم باكستان »

وهكذا تحقق حلم إخواننا المسلمين وقامت دولة الباكستان أكبر دولة إسلامية ، تلك الدولة التي خلقت لتعيش وستعيش بإذن الله .

باكستان زنده باد ! (١)

(١) تحيا الباكستان

البحث صلة — أبو الفتوح عطيفة

الطبيعة والصنعة في الفن

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

الفنانون: الشاعر، والأديب المترسل، والموسيقار، والمصور، والمطرب، والمثال، والرسام.. أفراد في مجموع قبل كل شيء

والفرد في المجتمع يعطي ويأخذ ويؤثر ويتأثر ...

وعلى قدر استعداد الفرد لتلقي تأثير المجتمع — من غير أن يشل هذا التأثير حيوية نزعة من نزعاته — يكون نجاحه التكامل في الحياة الاجتماعية. والطراز الانطوائي من الناس إذا وجد في الفن متنفساً لطاقته المكنونة، كسائر «الرومانسيين»، قد يصل تعبيره إلى أقصى ما يوصل إليه الأداء الفني من الروعة والإبداع ... وهذا يتفق كثيراً لشاعرة كفدوى طوقان، التي تقول في قصيدتها الأخيرة «الصخرة» بالعدد ٩٧٣ من الرسالة:

أنظر هنا! الصخرة السوداء شدت فوق صدري
بسلاسل القدر العتي
بسلاسل الدنيا البغي
أنظر إليها كيف تطحن تحتها ثمري وزهري
سحقت مع الأيام ذاتي
سحقت مع الدنيا حياتي
دعني فلن تقوى عليها. لن تفك قيود أسري
سأظل وحدي في انطواء
مادام سجاني القضاء

إلى أن تقول:

ستظل روحي في انفعال
سأظل وحدي في نضال
وحدي مع الألم الكبير. مع الزمان. مع القدر
وحدي وهذي الصخرة البكماء تطحن.. لا مفر!

كما اتفق كثيراً لشاعر كالمرحوم فخري أبو السعود الذي يقول مناجيا الموت:

لأنت بلاغ النفس حيرى مروعة ... بوادي شكوك جمة وهموم
وفيك ابتعاد عن جهالة جاهل ... وعن قول مأفون وفعل لئيم
وعندك نسيان وطول زهادة ... لكل مراد في الحياة عقيم
لعمري ما حي بأروح منزلا ... على الأرض من بال بها ورميم
ولو علم الجاني لما جاد عامداً ... على خصمه بالموت جود كريم
وتمحو يداك الحقد والخوف والأسى ... وكل بلاء في النفوس قديم
وأنت تريح الفكر من كل معضل ... يظل له في حيرة ووجوم
وتطوى عن الأجفان صفحة عالم ... مليء بأنواع الشرور ذميم
وتطوى كتاب الأمس طيا وما مضى ... به من بغيض ذكره وأليم
... عزاء لبعض الناس أنك قادم ... وأن شقاء العيش غير مقيم

وهذان الشاهدان اللذان سقناهما فيهما صدق وعمق فنيان، نتجا عن شعور صحيح، أججته أحزان الوحدة وصروف القدر ... ولكن آفة الانطواء أن ينفعل الشاعر تحت تأثير القيم الاجتماعية انفعالا فنيا مصنوعا لا مطبوعا، فيكون تعبيره الفني واجبا ملتزما به، أو تقليدا منساقا إليه.. لا أداء حرا صادرا عن فاعلية فائضة من النفس ... فشاعر كبشار الضرير، حين يقول متغزلا:

يامنظرا حسنا رأيته ... من وجه جارية فديته
بعثت إلى تسومني ... ثوب الشباب وقد طويته

لا يخفى ما يقوله هذا من بعد من الصدق والواقعية، علاوة على ركاكة النسج وتكلف المعنى والقافية تكلفا ظاهرا.. وإلا فمن (هو) في ميدان الوسامة والغرام، حتى.. تسأله هي أن ينازلها؟ وإذا أردت دليلا قريبا على ذلك فلاحظ معي، إن شئت، الظروف الاجتماعية في عصر المرحوم أحمد شوقي بك، التي كانت تزين له أن يتصدر دولة الشعر، تجد أن دولة الشعر

كان عليها في هذا المصر واجبات، تقتضيها الضرورات السياسية ومن هنا كان نجاح شوقي غير متكامل في الحياة الاجتماعية .. فجاء شعره الوطني والاجتماعي دون وطنيات واجتماعيات شاعر النيل الاجتماعي النزعة ... ذلك لأن شوقيا لم يكن اجتماعي النزعة كحافظ وليس هذا عيبا؛ وقد قدر أن يكون لكل فرد نوازعه النفسية .. فشوقي كان من الطراز الانطوائي ...

ولو ترك الفنان لشاعرية شوقي لفاضت فيضا ذاتيا لا أثر للاحداث السياسية والاجتماعية فيه، ولأخلص لناموس الطبيعة وحرية الفن؛ وإن كان هذا لا يمنعنا من الإقرار بروعة شعره الذي صدر — في غير الأغراض التي أشرت إليها — عن فاعلية فائضة من أعماق وجدانه ...

وما أرق خمريات أبي نواس، الذي نراه يبلغ الذروة فيها لطبيعية انفعاله، اضطرم نتيجة هيام بالخمر معروف عنه، بلغ حد الهوس! فجمله يقول:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها ... لطافة، وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها ... حتى تولد أنوار وأضواء
دارت على فتية دان الزمان لهم ... فما يصيبهم إلا بما شاءوا
لتلك أبكي ولا أبكي لمنزلة ... كانت تحل بها هند وأسماء

وجمله يقول:

إثن على الخمر بآلائها ... وسمها أحسن أسمائها
لا تجعل الماء لها قاهرا ... ولا تسلطها على مائها
كرخية قد عتقت حقبة ... حتى مضى أكثر أجزائها!
فلم يكد يدرك خمارها ... منها سوى آخر حوبائها
دارت فأحيت غير مذمومة ... نفوس حراها وأنضائها
والخمر قد يشربها معشر ... ليسوا إذا عدوا بأكفائها!

ويقول:

قم يا غلام فقد بدا الفجر ... واسق النديم فما به سكر
من قهوة ما كنت أحسبها ... في الكأس .. لولا اللون والنشر
رقت .. فما تدرى أبارقها ... أبها هواء، أم بها خمر!

وأخيرا، وليس آخرا، ليت أدباءنا — الذين يصرون على أن يكونوا شعراء على الرغم من افتقارهم وتمهلهم وإمحالهم وضعف أداتهم الشعرية — يتأسون ويعتبرون بصدق ابن المقفع وصراحته، حين أجاب من سأله عن السبب في عدم قوله الشعر، بقوله: «الذي أرضاه لا يجيئني، والذي يجيء لا أرضاه» ومن رأيي أن ابن المقفع أسوة حسنة، وقدوة صالحة ...

فهل تنفع شيئا ليت؟ هل حقا يستجيب هؤلاء، ويتفضلون بإراحة أنفسهم وإراحة الناس وإراحة الفن جميعا؟

إنا لمنتظرون؛ ونخشى أن يطول انتظارنا إلى يوم يبعثون!!

السويس — **أحمد مصطفى حافظ**

شعراء مع أشعارهم

٤ – عدى بن زيد العبادى

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

ولا تنس أنني حدثتك عن إخوة عدى ، وأنهم لدى كسرى ناعمون ، وأنه أقطعهم الضياع وأجزل لهم الصلات . وهذا هو عدى يحدثنا عنهم وعن أهله ، ويأسى لأساهم ، ويستعين بهم ، ويصف لهم حاله وما هو فيه من قيد ، ومن حديد مضاعف ، ومن غلول ، ومن ثياب أخلاق مرقمات . وهو مع ذلك لا يفوته أن يبرئ ذمته مما اتهم به ، ويؤكد إخلاصه للملك :

ليس شئ على المنون بباق   غير وجه المسبح الخلاق
إن نكن آمنين ، فاجأنا شر مصيب ذا الود والإشفاق
فبرئ صدرى من الظلم للرب وحنث بمعقد الميثاق
ولقد ساءنى زيارة ذى قربى حبيب لو دنا مشتاق
ساءه ما بنا تبين فى الأيدى وإشناقها (١) إلى الأعناق
فاذهبى يا أميم غير بعيد   لا يؤاتى (٢) العناق من فى الوثاق
واذهبى يا أميم إن يشأ الله ينفس من أزم (٣) هذا الخناق
أو تكن وجهة ، فتلك سبيل الناس لا يمنع الحتوف الرواق
وتقول العداة أودى (٤) عدى   وبنوه قد أيقنوا بغلاق (٥)
يا أبا مسهر فأبلغ رسولا   إخوتى إن أتيت صحن العراق
أبلغا عامرا ، وأبلغ أخاه   أننى موثق شديد وثاق
فى حديد القسطاس ، يرقبنى الحارس ، والمرء كل شئ يلاقى
فى حديد مضاعف ، وغلول (٦) وثياب منضحات (٧) خلاق (٨)
فاركبوا فى الحرام (٩) فكوا أخاكم إن عيرا قد جهزت لانطلاق

ثم هو يتحدث عن أهله مرة ويصف ما يلاقيه ، وما يختلج فى نفوسهن من نوازع الحذر والإشفاق ، فيقول :

وبيتى مقفر إلا نساء   أرامل قد هلكن من النحيب
يبادرن الدموع على عدى   كشن خانه خرز (١٠) الربيب
يحاذرن الوشاة على عدى   وما اقترفوا عليه من الذنوب

وقد أرسل عدى رسالة من سجنه إلى أخيه أبى وهو مع كسرى ، يستعطفه ، ويستنجده ، ويصف حاله :

أبلغ أبيا على نأيه (١١)   وهل ينفع المرء ما قد علم
بأن أخاك شقيق الفؤاد كنت به واثقا ما سلم
لدى ملك ، موثق فى الحديد ، إما بحق وإما ظلم
فلا أعرفنك كذات الغلام ما لم تجد عارما تعترم (١٢)
فأرضك ، أرضك ، إن تأتنا   تنم نومة ليس فيها حلم (١٣)

وإن كان عدى قد أخطأ فقد يخطىء الصديق ! وإن كان ظلم فهذا نصيبه ! وهلا تستطيع أيها الملك أن تتدارك الأمر وتجنح إلى الرأى المصيب ! وعلى كل ، فقد وكل عدى أمره لله . وهو رب قريب مستجيب :

فإن أخطأت ، أو أوهمت أمرا   فقد يهم المصافى بالحبيب
وإن أظلم ، فقد عاقبتمونى   وإن أظلم ، فذلك من نصيبى
وإن أهلك (١٤) تجد فقدى وتخذل إذا التقت العوالى (١٥) فى الحروب
فهل لك أن تدارك ما لدينا   ولا تغلب على الرأى المصيب
فإنى قد وكلت اليوم أمرى   إلى رب قريب مستجيب

هذا عدى : عدى البائس المحزون . الحبيس فى سجن صديقه ومليكه النعمان . لم يكن يتوقع يوما أن يكون فى مثل حاله هذه ، وإن ماضيه مع الملك ، وماضى بيتهما معا ، لم يكن يوحى – لحظة من اللحظات – أن هذه المصافاة والإخلاص والود قد تنقلب أسى ما بعده أسى ، وشر تصغر دونه الشرور ،

وقد استطاع عدى بكل ما أوتى من قدرة على البيان والتعبير ، قدرة الفنان البائس المذكور ، أن يرسم لنا صورة له فى

---

(١) الإشناق أن تغل اليد إلى العنق (٢) العناق لا يسعف الموثوق (٣) شدة (٤) هلك (٥) بهلاك وضياع ، من غلق الرهن إذا استوثق (٦) جمع غل (٧) مرقمات أو ظهر أثر العرق فيها (٨) جمع خلق (٩) فى الشهر الحرام

(١٠) الشن : الخلق من كل آنية من جلد . الربيب : من يرب الشن ويصلحه (دموعهن غزيرة كالماء المتساقط من الشن البالى الذى لم يفلح فيه الخرز) (١١) بعده (١٢) ذات الغلام : الأم المرضع . عارما : راضعا . يقال : عرم الصبى أمه عرما : رضعها . تعترم : إن لم تجد من ترضعه درت لخلبت ثديها ، وربما رضعته ثم مجته من فيها ، وقد تطلب من يرضعها . ويقال هذا البيت لمن يعمل على ذم نفسه (١٣) يحذره من المجىء إليه وإلا يهلك ، فإن كان باذلا عونا فهو لدى كسرى ، كما ستعرف بعد (١٤) تحس (١٥) الرماح

السجن . ولأهله ، وأن يحدثنا عما كان بينه وبين النعمان من مودة وصفاء ، وأن يذكر النعمان بأياديه عليه ، وأن يذكره بما كان لزيد أبي عدى من ملك الحيرة قبل المنذر أبي النعمان ، ويذكره الصهر ، ويضرع إليه ألا يشمت به الأعداء

وقد أكره النعمان عديا على طلاق هند . وما كان ينتظر لهذا الزواج غير هذا ، ففارق السن ، والطريقة التي تم بها ، وعدم مواءمة الزوجين كفاءة كما يرى النعمان ، كل هذا كان يشير إلى أن الزواج قد لا يطول أجله ، وأن الفراق ينتظر الزوجين بعد حين طويل أو قصير . ثم جاءت الأحداث تتابع ، وأضحى هذا الزواج من أسباب النفرة بين عدى والنعمان ، ودخل الأعداء ، وخشى النعمان عديا ؛ فكان الحبس ، وكان الطلاق

وقد ترهبت هند بعد ذلك في ديرها المعروف بدير هند ، وقد بنته حين تنصرت بعد تنصر أبيها على يد عدى ، وحبست نفسها فيه ، وأعرضت عن الحياة الدنيا بزخارفها ومفاتنها ، إلى حياة نبيلة طهور تطمح إليها آمال النصارى المخلصين

واختلفت الرواة ، فمن قائل إنها ترهبت بعد طلاقها ، ومن قائل ترهبت أسى على زرقاء اليمامة ، ومن قائل ترهبت حين قتل كسرى أباها النعمان

وأنا لا أميل إلى القولين الأولين ؛ لأنها ما كانت تحزن على زوجها حزنا يفقدها الرغبة في الحياة ، ويدعوها إلى الرهبانية ، وأنت تعرف ما أحاط بهذا الزواج مما يجعله غير مرجو النجاح ، ولأن قصة زرقاء اليمامة ، وصلتها بهند ، غير واضحة ولا مفهومة . وأما ترهبها لفقدها أباها ، فقد يبدو مقبولا ومعقولا ؛ لأنه عزها وفخرها ؛ ولأنه يصعب على أبناء الملوك أن يعيشوا كالناس بعد جلال الملك وأبهة الملوك ، فينزووا في ناحية من نواحي الأرض يعيشون فيها في تستر وخفاء . وكانت هند قريبة عهد بالنصرانية ، والمثل السامق الأعلى لها هو الترهب ، فلعل نشوة دينية بعد قتل أبيها ألجأتها إلى ديرها المعروف . فهى قد تكون ترهبت حين ألمت بالنعمان الخطوب فوق تأثرها بالمثل الأعلى للنصرانية

وكانت هند تمتز بأبيها ، وتحفظ اسمه ، وتثار عليه ، حتى بعد أن أزلها الدهر عن مكانتها . ويحدثنا الرواة أن المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الكوفة مر بدير هند ، فنزله ودخل عليها ، بعد أن استأذن عليها ، فأذنت له وبسطت مسحا لجلس عليه ، ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال : جئت خاطبا ؛ قالت والصليب لو علمت أن في خصلة من جمال أو شباب رغبتك في لأجبتك ، ولكنك أردت أن تقول في المواسم : ملكت مملكة النعمان بن المنذر ، ونكحت ابنته ، فبحق معبودك أهذا أردت ؟ قال : إى والله ؛ قالت : فلا سبيل إليـه ؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها :

أدركت ما منيت نفسى خاليا … لله درك يا ابنـة النعمان
فلقد رددت على المغيرة ذهنه … إن الملوك نقية الأذهان

وقد أيأس إخوة عدى ، وهم عند كسرى ، ما نزل بأخيهم ، فسعوا له ، وعملوا على كسر قيده ، وراسلوه في سجنه ، فلقد كتب إليه أخوه أبى :

إن يكن قد خانك الزمان ، فلا عاجز باع(١٦) ولا ألف(١٧) ضعيف
ويمين الإله — لو أن جأواء(١٨) طحونا تضىء(١٩) فيها السيوف
ذات رز(٢٠) ، مجتابة غمرة الموت ، صحيح(٢١) سربالها تلفوف(٢٢)
كنت في حميها — لجئتك أسعى فاعلمن ، لوسمعت ، إذ تستضيف(٢٣)
أو بمال سألت دونك لم يمنع تلاد لحاجة أو طريف(٢٤)
أو بأرض أسطيع آتيك فيها … لم يهلنى بعد بهـا أو مخوف
إن تفتنى والله إلفا فجـوعا … لا يعقبك ما يصوب الخريف
في الأعادى ، وأنت منى بعيد … عز هذا الزمان والتعنيف
ولعمرى لئن جزعت عليـه … لجزوع على الصديق أسوف
ولعمرى لن ملكت عزائى … لقليل شرواك(٢٥) فيما أطوف

ثم احتال للدخول على كسرى فأخبره ، فكتب كسرى للنعمان يأمره بإطلاق عدى . غير أن الوشاة أسرعوا قبل فوات الفرصة ، وحرضوا النعمان وخوفوه وأنذروه ، إن أبقى على عدى ، فبعث إليه أعداءه ، فغموه حتى مات

---

(١٦) كناية من القوة (١٧) الثقيل البطيء (١٨) كتيبة جأواء : بينة الجأى : يعلو لونها السواد لكثرة الدروع (١٩) تطحن ما لقيت (٢٠) الرز : الصوت يسمع من بعيد (٢١) السربال : القميص (٢٢) من كففت الثوب إذا خطت حاشيته (٢٣) تستجير (٢٤) التلاد ضد الطريف ، وهو القديم (٢٥) مثلك

البحث بقية

محمود عبد العزيز محرم

بين الحقيقة والخيال :

صـــــديق . !

الأستاذ محمد محمد الأبشيهي

خلوت إلى نفسي يوما أسائلها : « أين هو الصديق الذي يسكن إليه قلبي ، وتهدأ حياله نفسي ، فيصفيني وده ، ويمنحني مما يمنع منه نفسه ؟ فقد بلوت من خير الناس وشرهم ، ما يوشك أن يزهدني في عشرتهم ، ويجنح بي إلى العزلة عن هذا المجتمع الصاخب ، وحاولت أن أصطفي من الأصحاب من يفرج أمري ، ويكشف لي وجه الصواب في هذه المشكلة العاصية ، فإذا يداي تصفران ، وإذا أنا أخلد إلى الراحة في ظلال اليأس ، وإلى الهدوء على بساط الشوك .. وساءلت نفسي .. ربما كانت النفعية الجامحة والمادية اللاهية ، هما أس العناء ، وأصل البلاء ، حين ينظر الصديق من زاويتها إلى الصديق ، فكلما تحدر إليه خيره هش له وبش ، ولقيه باسم الثغر ، مشرق المحيا ، فهو صديق العمر ، وشقيق الروح ، وإلا أنكره ، فغاضت الابتسامة ، وفتر اللقاء وتقطع بينهما ، وحال الأمر إلى عداوة ، وأشباه هذا هم الكثرة الكاثرة فيمن يلاقونني ، حتى الذين ينالهم رفدي ، لا أحس لما يبدونه نحوي بحرارة ، ولا لما ينسجونه حولي بصدق، وأنظر يوما فإذا بي أنشد :

« إني لأفتح عيني حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا »

وأتناول بيدي مصباح (ديوجين) أفتش به في ثنايا الزمن ، عن بغيتي من هذه الحياة ، ولكن .. هيهات ! ... ولبثت كذلك حينا من الدهر ، يمر بي في طواف أشتات من الناس ، تباينت طباعهم ، وتلونت مذاهبهم ، لا يحسون بي ، ولا أحس بهم ، لبعد ما بيني وبينهم ، فما جامعة تجمعنا ، في الرأي والفكر والذوق ، أراهم من غير جنس وإن كانوا بشرا ، وألمح على معارفهم لؤم الطباع في ثنايا الإشراق ، وسمار الطمع في مخايل الرضى ، فلويت عنق ، وأشحت بطرف ، وطويت عنهم كشحا ، وفزت من الغنيمة بالإياب ، بعد رحلة لاغبة ، وجهاد واصب ، و .. وشعرت بيد تربت على كتفي . وأنفاس حانية ، ترف على قلبي ، فأحسست برد الراحة يسري في أوصالي ، وتمثلت النعيم يغمر جوانحي . قال — وقد مثل حيالي قائما — أنا إذا ضالتك المنشودة . وأملك المفقود ، وأملك أن تجد العوض في شخصي من أحلامك الذاهبة ، فأقضي حاجتك ، وأنكأ جرحك ، فتنأى بنفسك عن مواطن اليأس ، وتعلم أنه ما زال في الدنيا صديق ، ترتاح له ، وتبلو من سجاياه ما تقر به عينك ، ويثلج به صدرك . ستقودني إلى حيث تريد ، وستلقاني مطواعا ذلولا ، لا أبعثك على غضب ، أو أشرف بك على يأس ... فصدقته حين لمحت في حديثه دلائل الصدق ، وشممت من لهجته علائم الجد ، وأنست به وسكنت إليه ، وجلت به في ميادين الحياة جولات موفقة ، وعشت به زمنا ليس بالكثير ، حدثت نفسي في خلاله أن أعفي كل أثر لحكمي السابق على الصديق ما دام في الناس أمثال هذا الذي فني في شخصي ، وكان لي أطوع من بناني ، وألزم من ظلي ، إذاً فلقد تجنيت على الإنسانية ، وأجرمت في حق الإخاء ، فهذا صديق يهفو إلى الخير لوجه الخير ، ويطرب بالوفاء لأجل الوفاء ، وإذاً فلتهدأ بلابلي ، ولتمض الحياة قدما في كنف الصداقة الصادقة ، وظلال العيش الرغيد ! .. ورأيته يوما — على غير عادة — عابس الوجه ، ترمي عيناه بالشرر ، منتفخ الأوداج ، يكاد يتميز من الغيظ ، فابتدرته : « ما بالك » . فأجاب — في غير تحفظ ولا استحياء — لقد خاب أملي فيك ، وصوح عود الصلة بيني وبينك ، فما أنا بالذي يستمسك بك ، وقد نهشت عرضي ، وجحدت فضلي ، وأذعت في الناس بأحاديث السوء عن خدنك الذي غره فيك حسن السمت ، واصطناع الوقار ، فقاطعته قائلا : « على رسلك يا صديق ، فلعلها أن تكون سعاية حاسد ، أو زراية جاهل . وما حسن أن تجبهني بالثورة ، وتطلع علي بالعنف ، قبل أن تتبين » فأصم أذنيه ، وولى مدبرا ولم يعقب ، وحمدت لنفسي أنني لم أتزحزح قيد أنملة عما رسب في أغوار نفسي عن الصداقة والأصدقاء . وإذاً فالمشكلة ما زالت قائمة ، ولا أبرح أتلمس الصديق الصدوق بين الحقيقة والخيال ، فياليت شعري من يدلني عليه ، فينقذني من ألم مرمض ، وأسى لا يريم ، إن بين اليأس والأمل صراعا ، وفي النفس من هذا المجتمع المريض لوعة وحيرة

محمد محمد الأبشيهي

وهي المقالة الصامتة

الصمت البليغ

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

روى أن لقمان الحكيم جلس ذات يوم إلى نبي الله داود عليه السلام ، وهو يعمل درعاً من حديدة ، فعجب من ذلك لقمان ، واعتملت في نفسه عواطف مختلفة ، وأحاسيس متباينة ، لأنه لم ير درعاً قبل الآن يصنعها صانع ملهم ، في براعة وإتقان ، وحذق وافتنان . بيد أنه آثر الصمت ، لأنه وجده أنسب من الكلام المقام ، إذ لم تبد على داود عليه السلام علائم إجابته عن حقيقة ما يصنع إذا سأله ، ولكنه ما يمهل إذا طلب منه بيان شيء من أمره ، وظل لقمان على هذه الحال سنة كاملة ، تمت فيها الدرع ، وقاسها داود على نفسه ، وقال : درع حصينة ليوم قتال !

فقال لقمان : الصمت حكم ، وقليل فاعله .. !

وهكذا يأخذ حديث الصمت بمجامع القلوب ، كما يأخذ حديث القول بمجامع القلوب ، حتى ليكاد يراجع الإنسان نفسه فيما علم من بلاغة الكلام ، وأنها مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، وأن ذلك إن جاز حيث يستباح القول ، فلا يجوز الاقتصار على ذلك حيث يمتنع على الإنسان الكلام ، أو بمعنى أدق حيث يمنع من الإبانة والإفصاح ..

والصمت في بعض الأحايين أبلغ من الكلام . ولا يضير القارئ أن يجد مقالا نالت منه يد بالاختصار أو الحذف والبتر ، وحكمت عليه دون روية بالوأد والقتل ، وقضت على جمهرة القارئين بالحرمان من أصفى مورد ، في عصر التاثت فيه الضمائر ، واشتركت الألباب .. أجل لا يضير القارئ المخلص الذي تعود أن ينال غذاءه الفكري الكامل من كاتب بعينه ، وأديب بذاته — ليكفيه أن يقرأ العنوان فحسب ، ليستخلص منه الفكرة ، وأن ينظر إلى الصحيفة البيضاء ، فتتحول إلى نور يضيء معالم النفس ، ويملأ شغاف القلب ، ثم ينطبع في ذهنه كل ما كان يجب أن يسطر عليها ، ويسجل فيها ، ويراد بها .. !!

ولقد يسهب الخطيب ويشقشق ، ويطنب الكاتب ويتدفق ، ويتلاعب القاص أو الباحث بالألفاظ ويشقق ، ثم لا يعرف السامع أو القارئ ما يريد أن يرمي إليه أحد هؤلاء من غرض ، أو يهدف إليه من غاية ، ويظل حائراً بين آفاق من الفكر الشتيت ، وركام من القضايا والآراء لا تنعقد بينها صلة ، ولا تجمع بين أطرافها آصرة ..

وقد يشير الأديب أو يصمت ، فيفهم الناس عنه ما يريد أن يقول ، ويتجلى لهم رأيه على أحسن ما تكون الآراء عرضاً وتحليلا ، ويكون لهم من صمته أبلغ بيان ، وأوضح مقال ، وأفصح كلام .. !

إلا أنه إذا جاز أن يكم فم خطيب ناشيء ، أو يعقل لسان كاتب أو شاعر شاد ممن يتصدون للاصلاح وقد سلمت نياتهم — لأن ما يقوله أحدهم ربما يخطئه التوفيق فيبعد به عن مداه ، ويجانب الغرض مبناه ، فيثير الفوضى والشغب ، ويورث العناء والنصب — إذا جاز ذلك مع واحد من هؤلاء ، فلا ينبغي أن يتبع مع من يترقب الشعب بأسره ، بل العالم العربي والإسلامي جميعاً نتاج قرائحهم ، وثمار أفكارهم ، ليحظى الناس هنا وهناك بالفكرة الواضحة ، والقولة الناصحة ، والرأي السديد ، يشرق على الناس إشراق الشمس الضاحية ، فيبدد غياهب الجهالة ، ويزيل غاشية العماية ، ويخرج بالقلوب الضالة إلى واضح النهج ، وبالأفئدة الحيرى إلى لاحب الطريق وسواء السبيل ، ويقع من التهم الباطلة موقع الماء يغسل الأوساخ ، ويزيل الأدران ، والعدل يمحق الزور والبهتان ، والحزم يقضي على الظلم والطغيان

يجب على الألسنة أن تنطلق لتفصح عما يكنه الجنان ، ولا يفصح عنه غير البيان .. وعلى الأقلام أن تتحرر لتعبر عن خلجات العواطف . وومضات الأذهان ، فإن قلم الكاتب الكبير قبس من نور الإيمان . وسلاح من أسلحة الديان ، وجدول رقراق من فيض النبوة لا يغيض ..

لا تكمموا الأفواه الطاهرة ، فذلك يورث الكبتة الدامية ، ويؤدي إلى النكسة القاضية ، فتتهامس الشفاه ، وينبعث دعاة الشر بالفساد في كل مكان ، وتتسابق شائعات السوء على كل

لسـان ، فيتكهرب الجو ويختنق الأنفـاس ، ثم لا يجد صواب الرأى بين كل أولئك طريقه إلى الوجود ، وسـبيله إلى النور ، ويجد أعوان الباطل سانح الفرصة إلى الظهور ، وأيسر المناسبات إلى إذاعة الفجور ، فيضيع الحق الواضـح ، ويقبر الخير بأيدى أعدائه وأحبابه على السواء ..

لا تعقلوا الألسنة المبينة ، ولا تقيدوا الأقلام المفصحة ، فذلك تحطيم لمصابيح الهدى، وعواصوى الرشاد، وتشجيع للخيال الشريد أن يذهب فى تعليل ذلك مذاهب شتى ، فقد لا تثير مقالة تنشر اهتمام جميع القـارئين ، فلا يقرأ الجميع لأديب ، ولـكنهم يقرءون بلااستثناء — بل ويقرأ معهم كذلك غير القارئ — المقالة المحذوفة ، والرسالة المبتورة ، وقد يفهمون منها أكثر مما تفهم ، ويحملونها من المعانى والأغراض ، والآراء والأهداف ، أكثر مما تحمل ، وهذا حق لا ريب فيه ...

إن هذا الإجراء الجديد ، يثير فى النفوس عوامل شتى ، ويراد منا — والحوادث جارية ، ونحن وسط الخضم الزاخر بين مختلف الأمواج العاتية — أن نصمت صابرين ، ولـكن من لنا بصمت الصابرين ؟!

من لنا بصمت لقمان الحكيم ؟!

عبد الحفيظ أبو السعود

مصير الانسانية

فى أيدى الشيوخ

عن مجلة (العلم والحياة) الفرنسية

كانوا قديما يتساءلون : ماذا نفعل بالشيوخ ؟ أما اليوم فيجب أن نتساءل : ماذا عسى أن يفعل بنا الشيوخ ؟

يؤخذ من الإحصاءات الرسمية أن متوسط الحياة البشرية فى عصرنا أصبح يتراوح بين الخمسين والستين من الأعوام ، وقد كان لبضعة عقود خلت نحو الخمسة والثلاثين . وهذه الزيادة ترجع إلى تقدم الطب وانتشار الوسائل الصحية وتحسين طرق المعيشة ونحوها . وقد لوحظ أيضا للعوامل ذاتها نقص كبير فى وفيات الأطفال بجميع أنحاء العالم حتى فى أكثر البلدان انحطاطا

والواقع أن مصير العـالم هو اليوم فى أيدى هؤلاء الشيوخ الذين يفرضون على الشعوب إرادتهم ويلبسونها الأثواب التى يفصلون . وهم ولا جدال أوليـاء الأمر يأمرون وينهون فى الشؤون السياسية والحربية والفنية والأدبية والعلمية وغـيرها . إنهم جاوزوا الستين من العمر فبلغوا حد الشيخوخة ؛ غير أن هذا الحد سيمتد كلما ارتفع متوسط العمر البشرى . فالمرأة فى أوائل هـذا القرن كانت تدعى عجوزا وهى بعد فى الثلاثين أو الخامسة والثلاثين ؛ والرجل الخمسينى كان يعد شيخا ، أما اليوم فلو دعونا امرأة خمسينية عجوزا ورجلا ستينيا شيخاً لغضبا وحقهما أن يغضبا؛ لأنهما لا يزالان يحتفظان برواء الشباب ونشاطه. أما القول بأن الحياة تبتدىء فى الأربعين فسيخلفه بعد وقت قريب تحديد آخر فيقال إنها تبتدئ فى الستين أو السبعين

إن هذا العصر الذى يدعى بحق العصر الذرى لا بأس أن ندعوه أيضـا عصر الشيوخ . وما الشيوخ إلا رجال يجمعون إلى الحزم والحنكة النشاط وصفاء الذهن . ولنا أمثـلة عديدة فى الذين يملكون زمام الأمر ويديرون شؤون الشعب، فالملك هاكون السابع ، كان عمره فوق السبعين ، وابن السعود هو اليوم فى العقد السابع، والمرحوم عبد الله ملك شرق الأردن كان عمره حين قتل ٨٩ سنة ، وستالين الذى يبسط سلطانه على بضع مئات من الملايين يحمل على كتفيه ٧٢ حولا ، ومستشـاره للشؤون الخارجية أندره ويشنسكى بلغ الثامنة والستين ، وتشرشل الذى قاد الحلفاء إلى النصر فى الحرب الأخيرة دخل فى السابعة والسبعين، ولـكل من وبزمن رئيس إسرائيـل وهربرت هـوفر رئيس الولايات المتحدة سابقا سبعة وسبعون عاما ، وكارلوس سفورزا وزير خارجية إيطاليا فى الثامنة والسبعين ، وإدوار هريو رئيس المجلس الفرنسى فى التاسـعة والسبعين ، و كونراد أدنور مستشار ألمانيا الغربية فى الخامسة والسبعين ، وماك آرثر ومرشال القائدان الأمريكيان فى الواحـدة والسبعين ، ودى جسبارى رئيس وزارة إيطاليا فى السبعين ، وكلامنت أتلى رئيس الوزارة السابق البريطانية أتم الثامنة والستين، ورئيس جمهورية فرنسا فنسان أوريول وهارى ترومان رئيس الولايات المتحدة وروبرت

شومان فى السادسة والستين، وبين قادة البشر يعد شان كاى شك أحدثهم سنا فعمره اليوم ٦٤ سنة

فمن الشواهد المتقدمة يتضح لنا أن مقاليد الناس هى ولا جدال فى أيدى شيوخهم

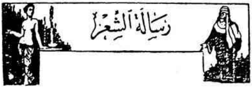
وفى الميدان العلمي نجد أبرز الوجوه وجوه الذين ندعوهم مسنين مما يبرهن على أن للعمل العقلى علاقة بطول العمر . ففى الأكاديمية الفرنسية عشرة أعضاء جاوزوا الثمانين منهم الأميرال لاكاز الذى تعدى حدود التسعين. وفى أكاديمية الفنون نذكر جان روى الذى بلغ الواحدة والتسعين . وفى أكاديمية العلوم والآداب والسياسة سبعة أعضاء قطعوا الثمانين أكبرهم الأستاذ تروشى وعمره ٨٨ . وللأستاذ هرتمن من جامعة الطب ٩٢ سنة، ولجوستاف شربانتيه من مجمع الفنون الجيلة ٩١ سنة

وبين العلماء الطاعنين فى السن نذكر مخترع السينما أوغست لمييار وهو الآن فى التاسعة والثمانين ، وأستاذ التشريح فلورنس سابان فى الثمانين ، والطبيعى شارل ابول فى التاسعة والسبعين ، والفلكى هنرى روسل فى الرابعة والسبعين ، والبير أنشتين صاحب نظرية النسبية فى الثانية والسبعين ، والتوأمان بيكار وجان أوغست الطبيعيان المشهوران فى السابعة والستين . ويحسن أن نذكر فى هذا المجال بطل الصحة الأستاذ أميل مال من الأكاديمية الفرنسية الذى بلغ الثمانية والثمانين دون أن يعرض فى كل حياته إلا مرة واحدة بالحمى التيفوئيدية وهو فى سن الواحدة والعشرين . وفى رأى هذا الأستاذ أن العمل هو وحده الذى يحفظ الصحة ويطيل الحياة .

وقد يظهر هذا الرأى لأول وهلة غريبا، أما الحقيقة فهى أن العمل ينشط القوى ويوقظ قبل كل شيء الرغبة فى الحياة . ومن الطبيعى أن القوى الجسدية تتهدم كلما تقدم الإنسان فى العمر ؛ غير أن القوى العقلية تزداد نشاطا وصفاء بفضل التمرين والاختبارات الماضية . وعلى هذا فالإنسان الذى يزاول الأعمال اليدوية تنحط قواه العضلية عند بلوغه حدا من العمر بخلاف من يزاول الأعمال العقلية فإنه يشعر فى ذلك الحد نفسه أنه أشد نشاطا وأصفى فكرا. وقد فرض نظام التقاعد على البالغين الخامسة والستين مع أنهم يكونون فى هذه السن فى أوج نشاطهم العقلى . ولو أن نظام التقاعد يراعى بحذافيره فى كل البلدان لكان عدد كبير من الموهوبين مقعدا عن العمل. نذكر منهم فى عالم الفنون الموسيقى المشهور جان سيبليوس وعمره اليوم ٨٦ سنة، والمصور فرانك برانغوين ٨٤ وتوسكانينى ٨٤ وبول كلودل ٨٢ والمصور هنرى ماتيس ٨٢ واوغدن بترى ٨٠ وبيكاسو ٨٠ وكوربيزيه المهندس الشهير ٧٤ والموسيقية راندا لندوسكا ٧٤

وفى فن التمثيل السينمائى نقتصر على ذكر اتيل باريمور وعمره ٧٤ وساشا غيترى ٦٦ وبوريس كارلوف ٦٤ وموريس شفالييه ٦٣ وشارل شابلين ٦٢ وكاودرينس ٦٣

ومن هذه الأمثلة التى سردناها لا يجرؤ أحد أن يسأل : ماذا نفعل بالشيوخ ؟



على ضفاف الليالى

للاستاذ محمود محمد سالم

وقفت على الشاطئ أرقب عودة الملاح التائه فى غياهب الحياة .
وأترقب الزورق السارى فى أنهار الأبدية .. يحدوه الأمل ..
فى الوصول .. ولكن : « !!

على ضفاف الليالى   وقفت حيران أشدو
ولا بن جنبي خفق   وملء بردى وجد
وأدمعى حائرات   واليأس بى مستبد
وحولى الليل بحر   به من الصمت مد
كأنما أنا فيه   طيف إلى الموت يغدو
أجرى وراء الأمانى   والموت خلفى يعدو
حتى مضى بى قبل   وسوف يلحق بعد
وسوف أفنى وتفنى   مشاعر لا تحد
ويصبح الناس عندى   سيان مولى وعبد
فلست أبغض خصمى   ولا الحبيب أود
إذ سوف أغدو خيالا   فى الوهم أولا أعد .!

° ° °

فياضفاف الليالى   أما لبحرك حد !
وما لقلبي حزينا   على ضفافك يشدو !

° ° °

على ضفاف الليالى   رأيت طفلا صغيرا
يلهو ويلعب حتى   ليملأ الكون نورا
حياته سلسبيل   جرى وفاض غميرا
لا الشوك يدمى يديه   إذا أراد الزهورا
بل الزهور الحوانى   إليه تهدى العبيرا ..!
فى أمه وأبيه   يرى الفضاء الكبيرا
فما يحاول شيئا   إلا أتاه يسيرا
جرى الزمان سريعا   به وحث المسيرا
فأظلم الدهر منه   ما كان بالأمس نورا
وحول النور نارا   وأصبح الطهر زورا
والضحك عاد بكاء   والسهل أمسى عسيرا
واليوم يشكو ويبكى   مستعبرا مستجيرا
على ضفاف الليالى   يبكي بكاء مريرا

° °

فيا ضفاف الليالى   أما لبحرك حد ؟ !
وما لقلبي حزينا   على ضفافك يشدو .. !

° ° °

على ضفاف الليالى   هتفت : أين شبابى ..؟
وأين منى حبيبي   وأين عهد صحابى ..!
وأين مسرح حبى   أبثه اليوم ما بى ..!
وأين أين دموعى   ولهفتى واغترابى ..!
إنى أحب دموعى   إنى أحب عذابى
واللهفتى قد تولى   من كان ضوء شهاب..!
وعاد حلما بعيدا   لمحته فى الضباب
وصار أمسى ذكرى   تلوح لى كالسراب.. !
فكيف ولى حبيبي   وكيف غاب صحابى
وكيف بالله ولوا   وأسرفوا فى الغياب
كانوا هنا فتولت   سعادتى فى الركاب ..!

° ° °

فيا ضفاف الليالى   أما لبحرك حد
وما لقلبى حزينا   على ضفافك يشدو

° ° °

على ضفاف الليالى   بزورقي قد سريت
لمحت طيفا جميلا   من المنى فجريت
ما زلت أزجى شراعى   فى اليم حتى مضيت

الكتب

عهد جديد

تأليف الأستاذ شاكر خصباك

منشورات لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة

للأستاذ سليم عبد الجبار

على الرغم من أن الأستاذ شاكر خصباك لا يزال فى مطلع حياته الأدبية ، فالقارئ المدمن ، يدرك أثناء قراءته لـ (عهد جديد) أن الأستاذ شاكر ، قد أشرف على الطريق القديم فى كتابه الأقصوصة الفنية

فالشخصيات التى تترادف فى هذا الكتاب ، تتخذ مادتها من الحياة الواقعية المألوفة ، ومن الطبقة الوسطى ، على الأخص ، ولكننا نلمس خلال قراءتنا ، أن تلك الشخصيات ، ليست بالشخصيات التى تتراءى لكل عابر سبيل ، يرمقها بعينيه ، فلا يتجاوز ، بنظراته ، هذه الأجسام المادية المحدودة الصور ، بل نراها ، أثناء حركاتها وسكناتها ، وأثناء هدوئها واضطرابها ، تتجاوز هذه الحدود ، لتكشف لنا ما وراءها ، ما وراء هذه الأجسام ، من نفوس إنسانية متغايرة ، متشابكة ، تتجه كل منها ، فى سبيلها التى أريد لها ، أو — على الأصح — نحو سبيل اختارته طبيعة نفسيتها ، وما ابتغته تلك الطبيعة من انبثاقات خاصة

فغضب الأب فى (عهد جديد) وهى الأقصوصة الأولى ، يرينا بكل وضوح تلك النفسية القلقة الحمقاء (الطيبة رغم ذلك) التى تغضب للاشئ ، وسرعان ما تفيء من غضبها ، فإذا هى نادمة ، واجمة ، يتراءى لنـــا من خلال دموع (زينب)

فما بلغت بعيـداً فى اليم حتى انثنيت
ولاح فجر الأمانى لخاطرى فانتشيت
وقلت قر شراعى من رحلتى ونجوت
وأترع الحب كأسى من خمره فاحتسيت
حتى أفقت عليـلا من نشوتى وصحوت .!
واحزنا قد طوانى ليل الأسى فانطويت
على ضفاف الليـالى بكيت ثم بكيت
فـما أفاد بكائى وما شفتنى « ليت »

• • •

فيا ضفاف الليـالى أما لبحرك حد !
وما لقلبى جزيـــرة على ضفافك يشدو .!

محمد محمود سالم

حين ينظم الشاعر

لشاعر اليمن الأستاذ محمد محمود الزبيرى

أحس بريح كريح الجنان تهب بأعماق روحى هبوبا
وأشعر أن القوافى تدب كالنمل ملء دماغى دبيبا
فهذا يزوغ وهذا يروغ وذلك يذعن لى مستجيبا
وذاك يفارقنى يائسـا وهذا يواعدنى أن يؤوبا
ومنها أوزع للعالمين طهراً وأنشر فى الأرض طيبا
أخلف منها لقاح النهى وأنجب للأرض منها شعوبا
حروف الروى بها نطفة ترعرع بيتاً عريقاً نسيبا
أسلم نفسى لها ذاهلا حريصاً عليها بشوشاً طروبا
وأصغى لها هادئاً تارة وأصرخ حيناً عبوساً غضوبا
ولولا اهتدائى لسر النبو غ وأعراضه لطلبت الطبيبا

محمد محمود الزبيرى

ووجوم (فطيمة) ذلك الحنان الهادئ العميق، الذي جبلت عليه أخواتنا

وغضب نجم، وتركه لأهله، هو الآخر، احتجاج، أكيد، صارخ، لما ينتاب النفوس الحساسة الأبية، من ظلم محيط، متراكم، ليس لدفعه من سبيل، إلا بمثل هذا الاحتجاج

كما تصور لنا أقصوصة (الرهان) تلك التضحية، التي يقدم عليها الآباء، في سبيل مستقبل أبنائهم، في مجتمع يقوم كل ما فيه على الاستغلال، والعبث بمصائر البشر

فالتضحية التي قام بها (حمود) لكي يتيح لابنته مستقبلا آمناً، والتي كلفته حياته، كانت بالنسبة للآخرين مجرد لهو يلهون به

ومثلما صورت لنا هذه الأقصوصة، هذا الجو المظلم، التعس، صورت لنا أقصوصتا (المنزل رقم $\frac{٤}{٥}$) و (أعوام الرعب) جوانب مظلمة، قاسية، من جوانب هذا المجتمع المنهار

فأقصوصة (المنزل رقم $\frac{٤}{٥}$) أبرزت لنا من زاوية خاصة، أثر المال في تثمين الحياة الإنسانية، فأعطانا قيمتها الآنية. فتحكم صاحب الدار، وعدم اكتراثه بحالة ساكني داره رغم ابتزازه منهم، الضريبة الشهرية، وخضوع هؤلاء لسطوته، وتلون حياتهم البائسة، وفق ما تضطرهم إليه هذه الحالة، من جهة، وموقف الشاب من ابنتهم، ومن أهله، من جهة أخرى، يحيطان بأتعس ما يمر على الإنسان، من ذل مقيت، وخضوع ظالم، تتحول بهما الحياة الإنسانية إلى ما يقارب الحياة الحيوانية، يزيدها مرارة، وألماً، شعور الإنسان بكرامته، وحقه في عيش أصلح

وما إن نصل إلى نهايتها حتى يدركنا جمود فكري صارم، مرده إلى تلك النهاية الأليمة التي تحدرت إليها (العائلة) نتيجة لتهدم دارها، فإذا ما تعلق مصير الإنسان ببضع قطرات تسقط من السماء، فتكفي لانهياره، تحت التراب. فأي قيمة لمثل هذا الإنسان، وأي معنى للحياة التي يحياها؟!

أما (أعوام الرعب) فقد صورت لنا، بطريق حاد، شائك ما يعانيه الشعب العراقي اليوم، من مآس دامية، وما يجتاز من أهوال شداد، في سبيل تحقيق حريته، وإنسانيته، وما يلاقيه في سبيل هذا التحقيق من انتقامات ظالم، كما صورت التباين الشاسع بين عقليتين، تلتفتان لأمور واحدة، عقلية مؤمنة صاعدة (الابن) وعقلية، أشرفت على الشيب والتدهور (الأب) لخضوع الأب، واستسلامه، الناجمان من الجهل والأساطير، يقابلهما الوعي العلمي الذي يتحسسه الابن، وكفاحه الجبار، الأوحد المؤدي إلى النهاية التي لا ريب فيها. فهي تعطينا في فلتة نادرة، أعمق العواطف الإنسانية المحتشدة في الينبوع الأسمى

ومثلما صورت لنا (أعوام الرعب) الوعي الإيجابي المتغلغل في دماء (الابن) صورت لنا أقصوصة (صديق عبد علي) الوعي السلبي الذي يراود القلوب الجاهلة، والذي تمثل في العطار (عبد علي). فاهتمامه بالانتصارات الألمانية، وتهليله لها، وتتبعه للانتكاسات البريطانية، وتشفيه منها يلفتان نظر القارئ الخاص، إلى تلك الناحية الخفية (فعبد علي) مثال لتلك الشخصيات المتعصبة، التي رأيناها في فترة الحرب، ولم نفهمها يومذاك. فهي في تحسسها الخاطئ، باعتمادها على أجنبي آخر، لا تقصد إلا إنقاذ بلادها، مما هي عليه، من جوع واضطهاد، فظنها الخاطئ، وعقليتها المحدودة الثقافة، توحيان لها أن الألمان ما داموا أعداءً للانكليز، فهم أصدقاء للشعوب المبتلاة بسطوة (البارون) ومحرريها

وأقصوصة (بدور بنت عمي) هي الأخرى تعطينا، جانبا مظلما، من جوانب هذا المجتمع، بما فيها من تحجر وعبودية، لحب العذراء لشخص غريب عنها، واغتنامها لبعض الأمسيات الوادعة، تقضيها في التطلع — على بعد — إلى حبيبها؛ جريمة لها جزاؤها الرادع، عند ابن العم الغيور. وهل غير القتل من جزاء

على أننا نلاحظ أن (الخاتم الماسي) أقل نجاحا من الأقاصيص السابقة، وسرها أنها فاقدة الحركة، وعقدتها — كما يعبر الاصطلاحيون — ساذجة. فقد حاول الأستاذ شاكر أن يسرد لنا في أقصوصته هذه (الأفكار) التي راودت بطل القصة، عندما عرض عليه (أحدهم) أن يشتري خاتما ماسيا، ومهما تكن أحقية هذه الأفكار، من تطرقها للعدالة المطلقة، وصلاحية

العقاب الاجتماعي، فهي تظل كما قلنا، وما ذاك إلا لأن (الفكرة) يجب أن تتوارى، في الأقصوصة وسائر الأعمال الفنية — بحيث تدرك أهدافها وانية، بطيئة، فشخصيات الأقصوصة إذا ما أصبحت رموزا يلتقطها الكاتب لادارة أفكاره، تفقد قيمتها، ويبهت الاطار

وكذلك (الأغـــلال) فهي إلى الخيال أقرب، ولعدم واقعيتها، نستبعدها، فما في كل يوم نلحظ حمالا (صبيا) يكترى بخبزه اليومى، دراجة ليتعقب خطوات حبيبته الأرستقراطية، المترفة، وما في كل ليلة نلحظ وقوف مثل هذا الحمال تحت شرفة حبيبته. على أننا نستثنى نهايتها فهي مما يتفق والواقع

ولم يبق لدينا إلا أقصوصتان، الأولى (الدخيل) ونراها ذات صبغة علمية بحت (تستند إلى مفاهيم عـــلم النفس) فمن المستبعد أن يبلغ الإدراك في طفلة لم تتجاوز السادسة لمثل هـذا الحد، فالغيرة لا تتبلور إلا في سن المراهقة!

والثانية (قلب كبير) فهي مريحة القراءة، موفقة في تحليل نفسية الفتاة الغربية المراهقة، ولعل أعمق ما فيهـا تصويرها لفتات الفتاة، ونظرتها إلى صاحبها أثناء التقائه (مصادفة) بصويحباته، العابرات

ونظرة موحدة إلى أسلوب الأستاذ شاكر تعطينا ما نريد، فقد ســار بطريق عرض موحد، إذ ألقى في كافة الأقاصيص، مهمة (العرض) إلى أبطال الأقاصيص نفسها، فكل واحد منهم يقص (قصته) وهذه الطريقة لها ميزتها الخاصة، وموفقة في التحليل النفسي، إذ توهم القارىء أن البطل (المتكلم) قريباً منه كأنه يسر إليـــه خاصة بهمومه، ولو حاول الكاتب أن (يتملص) في بعض أقاصيصه من هـذه الطريقة لكان عندي أحسن، فللتنويع أهميته، لئلا يتداخل الملل في نفس القارىء، ولئلا يلمس الرتابة في العرض

وجمل الأستاذ واضحة العبارة، مألوفة المفردات، فلا التواء في التعبير ولا تعقيد في المعنى، ومحاولة الأستاذ في تفصيح العبارات العامية العراقية وإدخالها في أقاصيصه محاولة ناجحة، بارزة الإيحاء، إذ خلعت على الأقاصيص جوا واقعيا، نابضاً، والحق أن أهم مشكلة تواجه القصاص، هو هذا التباين الصارم بين لغة الكتابة ولغة التخاطب، فاذا ما أراد الكاتب إدارة (حواره) باللغة العامية، تقلصت دائرة قراءتها، وأصبحت محلية، وإن أداره باللغة الفصحى ثارت بوجهه صعوبات، هادرة، إذ يفقد بذلك أعز ما يتاح للأديب، أعني إبراز الروح الكامنة وراء الألفاظ، وفق ما يتداولها الناس، وإزاء ذلك، فمحاولة الأستاذ محاولة تنعش أدبنا التكاسل وتزيده كمالا

ونود أن نشير إلى تلك اللوازم التي يلتزمهـا بعض أبطال الأقاصيص، ففي حياتنا كثيراً ما نشاهد مثل تلك اللوازم، تتكرر، بصورة لا إرادية أثناء الأحاديث، وقد تبلغ مرحلة من السيطرة بحيث يعجز صاحبها أن يسترسل في كلامه، إذا ما حاول إســـقاط تلك اللوازم، وهي وإن وردت في بعض الأعمال الفنية المطبوعة (مثل الشيء الصغير)، فهي جديدة على أقاصيصنا العربية، ولها دلالتها الخاصة في خلق جو حيوي ملائم هذا وعهد جديد يمثل مرحلة انتقال في الأقاصيص العراقية، فللمؤلف شكرنا

بغداد سليم عبد الجبار



أنا مع سيد قطب

لما كانت المعركة الأولى (سنة ١٩٣٨) كنت مع الأستاذ شاكر على الأستاذ قطب، فكيف أكون الآن مع قطب على شاكر؟ ذلك لأنى دائماً مع ما أرى أنه الحق. والأستاذ شاكر صديق من ربع قرن، والأستاذ قطب رفيق على مقاعد الدرس فى دار العلوم من ربع قرن. وليس بى الآن مدح ولا هجاء، ولا إغضاب ولا إرضاء. ولكن بيان الحق الذى أراه، ولعلى مخطىء فيما أرى.

وأنا أعلم أن للصحابة منزلة لا يدنو منها أحد منا، وإننا مهما سمى الصالحون منا فإنهم لا يلحقون غبار أحدهم، فضلا عن أن يحاذوه أو يسبقوه. وإن لبنى أمية فى نشر الإسلام وفى فتح الفتوح فضلا لا ينكره أحد، وأنه كان منهم عظماء حقا إن عد عظماء الرجال، ولكن هل كانت دولة بنى أمية دولة إسلامية؟

لقد هدم معاوية أكبر ركن فى صرح الدولة الإسلامية حين أبطل الانتخاب الصحيح، وجعله انتخاباً شكليا مزيفاً، وترك الشورى، وعطل الكفايات. ومن هذه السنة السيئة، بل هذه الجناية التى جرت أكثر البلايا، والطامات التى ملأت تاريخنا السياسى، فهل نقول لمعاوية: أحسنت فى هذا؟ بل إنى لأسأل، هل يقول هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حيا؟ إن معاوية صحابى جليل، وله مناقبه وفضائله، ولكن حكم الدين على الجميع، ومقاييس الإسلام يقاس بها كل كبير، فهل كان معاوية فى عمله هذا متبعاً أحكام الإسلام؟

هذه واحدة وإن كانت بألف

وهذا الاستبداد، والحكم الفردى، الذى سار عليه ملوك بنى أمية، وتحكيم آرائهم وشهواتهم فى مصلحة الأمة، ودماء أفرادها وأموالهم، دون تقيد بكتاب أو سنة، أو رجوع إلى علم أو فقه، هل هو من الإسلام؟

واختيارهم شر الولاة، من الطغاة الظالمين، وتحكيمهم فى رقاب الناس، هل هو من الإسلام؟ هل يقر الإسلام تولية مثل الحجاج على رجولته وعظمة نفسه، وخالد القسرى، وأمثالهما من الجبارين؟

وإثارتهم العصبيات والخلافات، بين القبائل وبين الشعراء، وتمهيدهم سبيل اللهو والاستهتار، لأنفسهم وللناس، ولاسيما جيران بيت الله، وأهل مدينة رسول الله؟

وعدوانهم على الحريات، وعلى المقدسات، وقتلهم العلماء من أمثال الحسين وسعيد بن جبير، وإيذاؤهم سعيد بن المسيب، وضربهم الكعبة بالحجارة وبالنار، هل هو من الإسلام؟

إن هذه كلها أشياء ثابتة، لم يفترها عدو، ولم يضعها خصم، وهذه كلها تناقض الإسلام أشد التناقض، بل إن بعضها لم تأت بمثله الجاهلية الأولى.

وما كان عليه العباسيون، ومن جاء بعدهم، من الطغيان والعدوان على الأنفس والأموال، واتباع غير سبيل الهدى، كل ذلك يسأل عنه بنو أمية، لأن من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وأنا أكبر بنى أمية. وأمجد آثارهم، وأرفع أقدارهم، ولكن لا أستطيع أن أقول إن دولتهم كانت دولة إسلامية، لأنى أكون قد مدحتهم بذم الإسلام، والإسلام أحب إلى، وأعز على من بنى أمية، وبنى هاشم، وأهل الأرض جميعاً

دمشق **على الطنطاوى**

إبراهيم الواعظ

قرأت بإعجاب ما كتبه الأستاذ إبراهيم الواعظ فى الرسالة بالعدد ٩٧١، فتذكرت ماله عندى من يد بيضاء يوم كنت أعمل بمدارس العراق الشقيق سنة ١٩٤٢، وحق على بهذه

المناسبة أن أقدم لقراء الرسالة شخصية فذة في مجال الفكرة الإسلامية

تعرفت عليه ببغداد ، وكان من صفوة القلة الذين أنست إليهم في مختلف الأحاديث التي كنا نطرقها في ندوة كانت تضم حسن بك سامي وزير العدل السابق ، فنتحدث فيما يهمنا من شؤون الثقافة

وعرفت الأستاذ الواعظ محاميا له بين قومه مكانة مرموقة بما تميز به من اطلاع واسع على التراث الإسلامي ، وعناية فائقة بالقضية العربية

واختير أخيراً ليكون مستشاراً للجامعة العربية وهو اليوم مقيم بالقاهرة ، ولقد صادف هذا الاختيار أهله

وفي الحق أن الجامعة العربية قد ضمت إلى كتيبتها العاملة رجلا له قدم راسخة في شتى الميادين : فهو المحامي الشهير ، والمحاضر الممتاز في الإذاعة العراقية وقاعة الملك فيصل ، ثم هو شاعر ، ومؤرخ ولغوي ، وكاتب مسرحي ، وله في عالم التأليف أثر محمود

قرأت له « مدرسة محمد » وهو سلسلة من إذاعاته عن أعلام الإسلام ، وأذكر أنه قد أعلن عن مجموعة طيبة من المؤلفات تحت الطبع منها « معاوية » و « قصة الغرانيق » و « سورة الفيل » و « حديث القرطاس » و « المتنبي » كما أعلن عن مسرحيتين شعريتين هما « فتح مصر » و « الزباء » ، وما أدري إن كان بعضها قد نشر أم لا

وعسى أن تحظى دور النشر في مصر بهذه النفائس لتذيعها في الناس لتعم فائدتها ، لما عرف عن الأستاذ الواعظ من اقتنائه لأمهات الكتب العريقة ، وصبره على التحليل والتدقيق ، وبراعته في التبسيط والعرض ، وأرجو أن تسعى إليه الإذاعة المصرية ، والجامعة الشعبية ، والنوادي الثقافية ، والجمعيات الدينية ، والمجلات الأدبية لتنال حظها من علمه الغزير وأدبه الأصيل

محمد محمود زيتون

الأسوة الحسنة ...

قال دولة رئيس مجلس الوزراء لبعض الصحفيين إنه سيعمل على تحقيق العدالة ، وأنه لن يحابي أحدا ، ولو أن ابنه خالف القانون لذبحه ! ...

وهو بهذا يتأسى بالرسول الكريم ، صلوات الله عليه وسلامه ، يوم جاءه أسامة بن زيد « يتشفع المخزومية ، فقال له عليه الصلاة والسلام :

— أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟ . . والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها ! ...

وبهذا وضع محمد بن عبد الله ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، اللبنة الأولى في أساس العدالة الاجتماعية ، ومبادىء الديمقراطية الإسلامية الصحيحة

عيسى متولي

ليس هذا تجديداً

يحلو لكثير من أفذاذ الكتاب أن يستعملوا كلمة « آونة » على أنها لفظ مفرد ظانين أن هذا نوع من التجديد في اللغة العربية وما هو من التجديد في شيء . والواقع أنه خطأ كبير انزلقت إليه يراعة الكاتبة الفضلى الدكتورة بنت الشاطىء في أحد تعليقاتها على الكتب الجديدة ولم أشأ أن أتعرض له في حينه ، ولكن تكرر هذا الخطأ من الأستاذ الكبير الصاوي بك في أهرام ١٩ مارس سنة ١٩٥٢؛ فلم أجد مناصاً عن التنبيه إليه ، أو على الأصح من تكرير التنبيه إليه ، لأني كنت قد نشرت تصحيحاً لهذا الخطأ منذ أكثر من عامين وقلت فيه إن كلمة « آونة » جمع والمفرد أوان مثل أزمنة وزمان لفظاً ومعنى . وإني أكرر هذا التصحيح ما دام التكرير في مثل هذا المقام يحلو



البعث

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

— ١ —

لم يكن هناك في قرية « فيكامب » من يجهل تاريخ الأم « باتان » الحافل بألوان الشقاء ... كما لم يكن يختلف اثنان في الحكم على قسوة معاملة زوجها لها طيلة حياته

اتخذها باتان زوجة له منذ عدة سنوات حين كانت في نضارة الصبا وقد حباها القدر بقسط وافر من الجمال والجاذبية ... في حين كان هو بحاراً ماهراً عملاقاً اعتاد الذهاب إلى حانة العجوز « أوبان » لتناول أربع أو خمس كؤوس من الكحول ، ولم يكن ذلك هو الحد الأعلى لملء فراغ معدته ... بل كثيراً ما ارتفع ذلك الرقم إلى ثماني أو عشر كؤوس ... ربما زادت على ذلك قليلا إذا ما كانت صفقة صيده رابحـــة . وكانت ابنة أوبان هي التي تشرف بنفسها على خـــدمة رواد الحانة الذين أسرتهم عيناها الحالكتا السواد ، وامتلكت أفئدتهم بقوامها الرائع الممشوق

ويوم جاء باتان إلى تلك الحـــانة للمرة الأولى ... اكتفى بإطالة النظر إلى الفتاة في شوق وحنين وهو يشير إليها من طرف خفي ، وازدادت فتنتها في عينيه حين ارتشف كأسه الأولى . . . فما كاد يأتي على الثانية حتى كان يلتهمها بعينيه في نشوة وشراهة . . واستقرت محتويات القدح الثالث في جوفه فتمتم قائلا دون أن يتم جملته : « لو كان في إمكانك فقط أيتها الآنسة ديزيريه ... »

ومع فراغ القـــدح الرابع كان باتان ممسكا بثوب الفتاة وهو يحاول تقبيلها

وتعددت الكؤوس ... وا كتملت عشراً ... وحينئذ أرسل أوبان العجوز ابنته إلى الخارج وراح هو بنفسه يشرف على خدمة البقية الباقية من زبائنه الساهرين . كان أوبان رجلا حاذقاً لا تخفى عليه خافية ... فكان يترك ابنته تتنقل برشاقتها لاغراء الزبائن حتى يستزيدوا من خمره ؛ تاركا لها مطلق الحرية في توزيع ابتساماتها الرائعة وإرسال سهام عينيها إلى أفئدة المخمورين ، وهو واثق منها كل الثقة دون أي محاولة من جانبـه لاكتشاف سر ذلك البريق الذي كان يشع من عينيها ... البريق الغامض الذي كان ينعكس في أغوارهما كلما حاولت امتحان عواطفها إزاء رجل من زبائن الحانة

وأصبح وجه ديزيريه مألوفاً لدى باتان من طول تردده على حانة أوبان ... فكان يراها ماثلة أمامه وهو في موكب صيده ناشراً شباكه في المياه الهادئة أو الصاخبة على حد سواء ... أو كان يتخيلها تومىء إليه في حلكة الليل الساجي ، أو تحت ضوء القمر الفضي الساهر ... فكان يطيل التفكير فيهـا ... وكم كان يهنأ بتلك التفكير وهو في جلسته عند مؤخرة المركب ، ويده مستقرة على سكانه ... بينما ارتكزت رؤوس بحارته الأربعة على أيديهم وقد راحوا تحت تأثير نومة استسلام هادىء لذيذ بعد إجهادهم اليومي المرهق ... وفي كل تلك الحالات التي كان يتخيلها فيها ... كان يراها تبتسم إليه وهي ترفع يدها لتملأ كأسه بالرحيق الملون هامسة وهي تتأهب للابتعاد عنه :

— أليس ذلك هو كل ما تطلب ؟

وأحس أخيراً أنها أصبحت تشغل حيز تفكيره كله ... فلم يستطع كبت تلك الرغبـة التي كانت تلح عليـه في أن يتخذها حليلة له ، وطلب يدها من أبيها

وأجيب باتان إلى مطلبه : فقد كان يمتلك مركباً وشباكا ، علاوة على منزل بالقرب من الميناء ... في حين كان أوبان العجوز لا يمتلك شيئاً ... وتمت معدات الزفاف دون تأخير

وانقضت ثلاثة أيام استيقظ بعدها باتان من الحلم الذي كان يعيش فيـه ، وهو يعجب كيف أنه اعتقد يوماً أن تلك الفتـاة ديزيريه تختلف في شيء عن غيرها من النساء . وابتدأ يتهم نفسه بالجنون ، ويعيب عليها ضعفها وخضوعها لذلك القيد الذي

قيدت نفسها به ... القيد الأبدى الذى استسلم إليه تحت تأثير الخمر ... نعم ! لقد كانت الخمر هى السبب فى ذلك الزواج ... الخمر التى كان يعتقد اعتقاداً جازماً أن الفتاة قد مزجتها به عن المقاقير السحرية للايقاع به

ولم يكف باتان عن سب نفسه طوال ذلك الوقت ... وما كاد يصل إلى ذلك الحد من التفكير حتى ألقى فضلات التبغ المتبقية فى غليونه ؛ وراح ينقل أسماكه الواحدة إثر الأخرى ، وهو يغمغم غاضباً

وعندما بلغ منزله وجد زوجته — ابنة أوبان العجوز — قابعة هناك كعادتها . فلم يحيها بحرف . بل راح يكيل لها ألفاظ السباب الحادة ... فقابلتها الفتاة بأحد منها ، إذ كانت طبيعة والدها الهمجية متأصلة فيها . وكان ذلك مما يزيد فى غضب زوجها وإيلامه . ولكن تلك الآلام لم تبلغ الذروة إلا فى تلك الليلة التى اعتدى عليها فيها بالضرب

وخلال السنوات العشر التى تعاقبت بعدئذ .. لم يكن هناك من حديث يدور بين أهل الميناء إلا عن تلك المعاملة القاسية التى كان يتبعها باتان مع زوجـــه ، لا لشئ إلا لأنه كان موهوبا بالسليقة بلهجـــة فى سبابه لم يكن هناك فى فيكامب من يضارعه فيها

وعاشت المرأة المسكينة فى جو من الخوف والرعب عشر سنوات كاملة اعتادت أثناءها الوحدة والسكون ، عشر سنوات كاملة كان فيها الكفاية لتجعل منها هيكلا هزيلا يشبه هيكل سمكة صغيرة جافة

— ٢ —

استيقظت المرأة فجأة ذات ليلة على صوت أنين الرياح وهمهمة رياح البحر .. فجلست على فراشها وراحت أفكارها تتجمع فى نقطة واحدة حتى تركزت فى ذكرى زوجها الغائب فى مركبه وسط ذلك البحر الثائر ، وسكن الصوت . فاستلقت على فراشها ولكنها لم تكد تغمض عينيها حتى هبت فزعة وقد روعها صوت العاصفة ، وقفزت من الفراش ثم هرولت نحو الميناء التى كانت قد امتلأت بجموع النساء وقد حملن فى أيديهن المصابيح يترقبن بها الطريق للرجال الذين هرعوا بدورهم إلى هناك لمحاولة نجدة من يحتاج إليهم من الصائدين . . وظلوا محدقين فى المياه السوداء الممتدة أمامهم فى جلال وروعة وقد بدت أشباح مراكب الصيد الصغيرة وهى ترتفع وتنخفض فوق الأمواج الصاخبة ، ودامت العاصفة خمس عشرة ساعة

وكان من نتيجة ثورة الطبيعة أن أحد عشر صائداً قدر عليهم ألا يعودوا إلى منازلهم أبداً . . وكان باتان من بينهم

وقذفت الأمواج بحطام سفينة باتان « أميلى الصفراء » إلى أحضان شاطئ « سان فاليرى » ولكنها لم تظهر أى أثر لجسد باتان

كان من الممكن أن يكون قد أصبح طعاما للأسماك . . . كما كان من الممكن أن يكون قد انتشل من المياه وأبحر مع منقذيه إلى حيث يقصدون

وعودت المرأة نفسها أن تحيا حياة الأرملة . . ولكنها إلى جانب ذلك لم تكن تتمنع من استقبال سائل أو مسافر أو بحار داخل مخدعها

وانقضت أربعة أعوام على اختفاء رجلها

ومالت الشمس إلى المغيب . . وهبت نسمات باردة تنذر باقتراب الليل وفزعت الأطيار إلى أوكارها . . فى حين كانت المرأة تسير فى شارع « اليهود » وقد لفت نظرها منزل قبطان عجوز .. كان يقف ببابه « دلال » ينادى على أثاث المنزل لبيعه .. وفى تلك اللحظة كان الرجل ممسكا بقفص قد استقر فيه ببغاء وهو يهتف :

— ثلاثة فرنكات .. طائر يتكلم كرجل القانون .. فقط ثلاثة فرنكات

وغمغمت دزيريه لصديق كان يتأبط ذراعها :

— يجب عليك شراؤه فسيكون لك نعم السمير . إننى واثقة من أن ذلك الطائر يساوى ثلاثين فرنكا ثقى من أنك تستطيع بيعه ثانية بعشرين أو خمسة وعشرين فرنكا

وارتفع صوت الدلال مرة أخرى قائلا :

هيا .. أربعة فرنكات أيها السادة . . أربعة فرنكات . . إنه يستطيع الترتيل ، فياله من أعجوبة نادرة . وأخيرا . . انتقلت ملكية الببغاء وقفصه لدزيريه بعد أن رفعت ثمنه لأربعة فرنكات وخمسين سنتيما

وعتمت المرأة قائلة بغضب لما رأت نقطة من الدماء تلوث يدها حين لامست رقبته وهى تضع له شيئاً من الطعام فى حجرتها

— يا لله .. لم أكن أعلم أنه جريح

وتوجهت إلى فراشها بعد أن وضعت للطائر شيئاً من الطعام وإناء صغيراً مملوءاً بالماء

ولم تكن أنوار الفجر الوردية قد بدت بعد ، حين تعالى إلى أذنى مدام ياتان صوت واضح جلى يقول :

— ألم تستيقظى بعد أيتها المنكودة ؟

لقد رجع زوجها أخيراً .. فذلك الصوت صوته وتلك عادته فى منادتها إذا ما استيقظ فى الصباح . وأحست رعشة تسرى فى عروقها فدفنت وجهها تحت الوسادة بينما راح جسدها يرتجف ارتجافاً واضحاً وهى تتمتم قائلة لنفسها :

— يا إله السموات .. لقد رجع ثانية وها هو ذا .. يالله

ومرت بضع دقائق دون أن يعكر صفو السكون الشامل صوت .. فأخرجت رأسها من تحت الوسادة ، كانت متأكدة من وجوده بالقرب منها يرقبها وهو على أتم استعداد للانهيال عليها بالضرب كما كان فى الماضى البعيد .. ولكنها لم تر شيئاً غير أشعة الشمس التى ابتدأت تخترق زجاج النافذة ، فهمست قائلة لنفسها :

— لا بد أن يكون مختفيا فى مكان ما

وظلت تنتظر .. وطال انتظارها فعاودها بعض هدوئها وغمغمت :

— إننى لم أره ... إذاً ... لا بد أننى كنت أهيم فى وادى الأحلام

وأغمضت عينيها مرة أخرى فى اللحظة التى ارتفع فيها صوت ياتان كالرعد قائلا :

ألا زلت نائمة أيتها الملعونة ؟

وقفزت من فراشها وقد انتابها فزع المرأة المطيعة التى ظلت أربعة أعوام كاملة وهى ترزح تحت عبء الذكرى الأليمة..ذكرى العذاب الذى كان يسببه لها صوت ذلك الرجل الكريه ... وهتفت :

— ها أنا ذى يا ياتان .. ماذا تريد ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتلفتت حولها فى دهشة .. ثم أخذت تبحث فى كل مكان .. ولكنها لم تجد أحداً .. وتهالكت على مقعد بالقرب منها وهى تحس بروح ياتان ترفرف فوق رأسها .. وأخيراً تذكرت الحجرة الصغيرة الإضافية الواقعة فوق حجرة الطعام .. لا بد أن يكون مختبئاً هناك فى انتظار مفاجأتها .. ثم .. ثم العودة إلى إلى نفس الحياة القاسية التى كانت تحياها من قبل .. ونظرت إلى سقف الغرفة وهى تقول متسائلة

— هل أنت فوق يا ياتان ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتسللت إلى الخارج فأحضرت سلماً تسلقته ونظرت فى الحجرة الصغيرة لترى .. لتراه .. ولكنها لم تعثر عليه ..

فجلست على الأرض وابتدأت تبكى وهى ترتعد . ومن أسفل جاءها صوت ياتان يقول :

— أى جو وأى رياح ..؟ إننى لم أتناول وجبة الصباح بعد

وصرخت المرأة من أعلى قائلة :

— إننى هنا يا ياتان .. ها أنا ذى فى طريقى إليك لإعداد طعامك فلا تغضب .. ها أنا ذى آتية . وهبطت السلم بسرعة فائقة . ولكنها لم تجد أحداً بانتظارها

وأحست بضعف مميت يغمرها من رأسها لأخمص قدميها . وفكرت فى أن تهرع إلى الخارج مستغيثة حين ارتفع صوت ياتان قائلا :

— إننى لم أتناول طعامى بعد أيتها ال ...

كان الببغاء فى قفصه يتابع كلامه ، وهو يحدق فيها بعينين كجمرتين

ونظرت إليه والدهشة تغمرها ثم تمتمت :

— إذاً ... إنه أنت . وتكلم الببغاء ثانية وهو يحرك رأسه انتظرى .. انتظرى قليلا .. فسألقى عليك درساً لتكونى أشد كسلا منك الآن

أى أحاسيس شعرت بها المرأة فى تلك اللحظة ؟ لقد شعرت تماماً أن الرجل الميت قد بعث مرة أخرى .. بعث حيا فى هيئة ذلك الببغاء

إذا... سيعود مرة أخرى لإهانتها ... كما كان في الماضي..
وسوف لا يمر يوم بهدوء . . وجيرانها ... سيعودون حتما للهزء بها والسخرية منها

وأسرعت المرأة نحو القفص ففتحته وأخرجت الطائر الذي راح بدافع من نفسه بمخالبه فيدمي يديهـا . . ولكنها لم تعبأ به . . وتهالكت فوقه على أرض الغرفة . . وراحت بكل قواها تضغط على رقبته حتى سكنت حركته

لم يعد يتحرك ، لم يعد يتكلم . ولكنه كان مستكينا استكانة الأبد بين ذراعيها . وجمعت الريشات الخضراء المتناثرة هنا وهناك بيد مرتجفة ووضعتها مع الجسد المسجي على الأرض في لفافة صغيرة ... ثم هرولت إلى الخارج عارية القدمين . . وقذفت بالحزمة الحاوية لا . . . لاشيء الميت في مياه البحر الهادئة . . : فبدت كحزمة من البرسيم الأخضر طافية فوق المياه الزرقاء

وعادت إلى حجرتها فركعت على ركبتيها أمام قفص الطائر الميت . . وراحت تبكي

كانت تشعر أنها ارتكبت إثما . . إثما هائلا كأكبر الجنايات وحشية . . فابتدأت تدعو الله أن يغفر لها !

ع . ج

مطبعة الرسالة